مجلة البيان – العدد 55 ، ربيع الأول 1413هـ / سبتمبر 1992م

الافتتاحية

نحن والإعلام الغربي

محمد بن حامد الأحمري

كتب أحد أدباء كينيا يصف الحال التـي أوصلتهم إليها مـرحلة الاستعمار فقال : "جاؤوا إلينا يحملون البندقية والإنجيل ، فأمطرونا بالرصاص ، ثم غمموا أعيننا ، ووضعوا أيدينا على المحاريث نقلب لهم الأرض ونزرعها، وبـعـد عـنـاء طويل فتحنا أعيننا لنجد بأيدينا الإنجيل وبأيديهم الأرض والثروة، وكـنـا قـد نسـيـنـا استعمال السلاح، فنحن اليوم نقلب الإنجيل ، ونتقلب في المجاعة والتبعية" .
تلك خـلاصـة حــال الـمستعمرات التي عانت من عماء طويل ونهب منظم أشد خطراً على الأمة من الهزائم العسكريــة التي تلحق بها مؤقتاً ، حيث يهب الناس بعد ذلك لتغيير ما حل بهم ، ولكن هذا التغيير مشروط بوجود الوعي العام لدى الأمة .
وقد سارعت القوى الغربية لإيـجـاد عـوازل كثيفة بين الناس وبين سبل الوعي ، وجعلت من الإعلام الذي يفترض أن يكون هو وسـيــلــة التوعية والفهم جعلت منه وسيلة لاستمرار الجهل والتخلف في دول العالم الثالث حيث يمــارس هــذا الإعـلام دوراً رئيسياً في تعمية الشعوب وصرفها عن طريق الحق والخير . وكلما تطورت الصناعة الإعــلامـيـة فـي عصرنا سارع المشوهون للمفاهيم والعقول إلى استخدامها لكبح وعرقلة طريق الوعي للأمة . وشـاهــد ذلك ما يحيا عليه المسلمون من مشرق العالم إلى مغربه من وسائل إعلامية تعرض وتكتب في كل الأوقات مادة واسعة حول شئون العالم، ولكنه حين يقف أمام هذا الكم الهائل لا يجد الصـحـيـفـة التي تهتم به وبشئونه، ولا يرى ولا يسمع من يعبر عن وجهة نـظـهـره، ولا يسمح له بالتعبير عن رأيه ولذا فقد صودرت أبسط حقوقه في الرؤية أو السماع أو القراءة .
إن إرغام الـعـالـم الإسلامي بجماهيره الواسعة على سماع وتقبل وجهة النظر الغربية في كل الأحداث لا يمـكـن أن يجـعـلـه قابلاً لها ومُسلّماً بها ، بل إن هذا الإصرار الغربي الشديد على رأيه في إسماع العالم صـوتـاً واحـــداً ورأياً واحداً فقط في كل مسألة يدفع المسلمين إلى تكوين وجهة نظرهم الخاصة المضادة والتي قد تنحرف أو يسودها العنف في بعض الأوقات حين لا يتوفر لها حرية الإقناع والاقـتـنـاع وذلــك لأن الشعوب الإسلامية أصبحت هامشاً مهملاً لا حق له ولا صوت ولا رأي .
وإذا سـمــح بقسط أوسع من الحرية والكرامة للشعوب نضجت عامتها وخاصتها ، وأصبح لذوي القرار قدرة ووعي وتوفر للمعلومات أكثر في حال

تنوع مصادرها وتنوع التحليل . ولا يمكن أن توجد لديهم هذه القدرة حين ترى وسائلهم الإعلامية العالم من خلال المنظار الغربي فقط ، ومن خلال زوايا ضيقة يسمح بأن ينظر الناس من خلالها .

والإعلام الغربي عجوز قديم سبر الشعوب الصغيرة التي تحبو على أبواب عالم اليوم وتحاول أن تدخل محافله وأن تؤثر في قراراته ، ولكن خبراته تحاول أن تجعل من الشعوب الصغيرة - أو التي هي في طرقها للتصغير لا للكبر - أبواقاً للحن العام مشاركة في فريق الإنشاد ملتزمة بكل تفصيلات الإيقاع ، فهذه الشعوب آلات صغيرة يجب أن تلتزم بدور هامشي في المهرجان العالمي، وأن تكتفي فيه بدور المصفق والمشاهد المغبون الذي يكدح وتوضع يده على المحاريث ويغطى بصره ، ثم بعد عناء طال أم قصر تزول الحجب وتكون عاقبته كعاقبة الأفارقة لا يجد في يديه إلا "النظام العالمي القديم" خرافة يقلب فيها نظره فلا يعرف لها معنى ولا تقيه من حر ولا قر .

واليوم يواجه مسلمو البوسنة المجازر والتهجير وإنهاء الوجود وتصفية دولتهم التي اعترف بها العالم والأمم المتحدة ، ويترقب المسلمون ويقلبون أيديهم فلا يجدون إلا مؤامرات ومؤتمرات تكون عاقبتها كعاقبة مؤتمر فلسطين أو أسوأ(1) .

لهذا فحقيقة الشعارات والمظاهرات الإعلامية خديعة للضعفاء والمنقسمين. إذ لا يصنع السلام إلا السلاح والقوة ، والقادر على الحرب هو القادر على السلام وهو الذي يلهي الضعفاء بالخداع والشعارات والضجة الإعلامية ثم يشرب المهزومون السراب .

إن المسلمين اليوم لا يستفيدون من الانغلاق الإعلامي وإحكام المنافذ ضد المعرفة أو الوعي بما يدور في العالم، وهم كذلك لا يستفيدون من جعل أنفسهم مستهلكين فقط للمادة الإعلامية الغربية . فلا بد مع الانفتاح الإعلامي العالمي الذي يحياه المسلمون اليوم من المشاركة الإسلامية البديلة ، بل لا بد من فرض البدائل وفتح المجال لها مهما بدأت صغيرة واهنة قليلة الأنصار محدودة الدعم ، فإنها - بإذن الله - هي الوارثة وهي التي تملك جذورها في الشعوب المسلمة ؛ في قلوبهم وأيديهم وألسنتهم وأموالهم ، فهي لسانهم الناطق ومنبرهم المعبر عن آمالهم ، ويمنعنا نحن المسلمين عن هذه المشروعات المهمة أمور كثيرة منها ما هو بأيدي أعدائنا ومنها ما نحن سببه ، كبخلنا وعجزنا وترددنا وخوفنا من الأعمال المؤثرة. ومتى تغلبنا على هذه المثبطات في أوساطنا فلا يملك العالم إلا الاعتراف بالصوت المؤثر والخبر الصادق .

أما أن المسلمين سيستفيدون من الانفتاح العالمي فهذا مما لا شك فيه لأن الله لم يخلق شراً محضاً . فالمسلمون بواسطة الإعلام الغربي والوكالات

الغربية يعرفون ما يحدث في أرجاء العالم ويـتـجـاوبون معه قدر المستطاع . وحين يرون ما يقوم به إخوانهم في بلدان بعيدة من عمل لإعزاز دين الله ونصرته فإن ذلك يثير العزائم ويقوي الآمال ويحث المسلمين أجمعين على تقوية الـصـلـة ومـنـاصــرة قضايا المسلمين على الرغم من انحياز اللغة التي يُنقل بها الحدث . وكثير من قضايا الإسلام والمسلمين في العالم ما كان للمسلمين أن يعرفوها بسهولة لو لم توصلها لهم أجهزة الإعلام الغربي على ما فيها من تشويه .

ترسخت لدى الغرب صناعة إعــلامية تجعل له تأثيراً وقابلية ، ويشارك بدور أساسي في صناعة القرارات ذلك لأنه إعلام مـسـتـقـل إلـى درجة كبيرة عن نفوذ الحكومة المباشر ، ورقيب عليها وعلى سير عملها بما يخدم مصلحة الشعوب . ثم هو إعلام تنافسي تتنافس فيه هذه الوسائل على السبق الخبري، والتحليل المؤثر والأسلوب الجذاب،وبالتالي تحصل الوسيلة الإعلامية على الإعلانات والمال وجماهير المتابعين لتلك الوسيلة الإعــلامية مرئية كانت أو مسموعة أو مكتوبة .

وقد تنافست هـذه الوسائل في إعطاء صورة لمجازر المسلمين في البوسنة وكان لهذه التغطية الإعــلامـيـة أثرها العالمي في كشف هدف الصرب وهو إخلاء أوروبا من الإسلام . وفي هذه المرة بقي القرار السياسي العالمي يلعب بكلمات الحرب العرقية والعنصرية وتجنب الدخول فيها. وقـد كـان أحــد الصحفيين يحاور "جون ميجر" ليستخرج من فمه كلمة تصف هذه الحرب بأنها حرب نصرانية، ولـكـنـه كـان يهــرب تماماً من أي إشارة إلى هوية الحرب الدائرة حتى يتجنب ما يبنى على هذا الوصف مــن موقــف سـيـاسـي أو عسكري لا يريد النصارى اتخاذه ضد إخوانهم الصرب ويكتفى بإرسال الطعام للقتلى !!

وهذا نموذج للمصطلحات والتسميات التي يتداولها الإعلام من أسلحة الكلمة المؤثرة ، حيث يبتدعون تسميات ومصطلحات جديدة محملة بالمعاني التي يريدون نشرها .

مثال ذلك مصطلح "الشرق الأوسط" الذي اخترعوه ليكون بديلاً "للمشرق العربي" ، الذي يعني كون هذه المنطقة الجزء الشرقي من بلاد العرب المسلمين ، أما "الأوسط" فإنه يحمل دلالات أخرى منها أن هذه المنطقة للعرب ولغيرهم ؛ للمسلمين واليهود والنصارى ، ثم هي وسطى بالنسبة لغيرنا وليس لنا . وقد أشيع هذا المصطلح وقبل به حتى أصبح وكأنه الأصل .

ومن المصطلحات التي يراد نشرها مصطلح الأصولية ، والتطرف ، والأيديولوجية ، بدائل عن الإسلام ولمزاً للمسلمين . وهذه شنشنة نعرفها من قديم ، منذ وصف محمد - صلى الله عليه وسلم - واتباعه بأنهم صابئون ، وأنهم مسحورون ، ووصفت أمم أخرى أنبياءها بأشنع من هذا . وهذه

المصطلحات من إشاعة الإعلام الغربي ومن حصائده وسلبياته الكبيرة التي تصغر أمام فوائده .
وقصارى القول إننا لا نملك الغياب عن العالم والحياة ولا أن نجعل من هذا زمن العض على أصل شجرة ما دام بإمكاننا أن نعمل وأن نؤثر في مسيرة العالم : "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"(2) ولا نلجأ للعزلة الإعلامية فهي وهم ، بل إن استخدام هذه المادة الإعلامية السيئة وإعادة صياغتها في المرحلة الأولى بما يناسب أوضاع المسلمين مطلب ملح حتى يأتي ذلك اليوم الذي نصنع فيه الخبر ابتداءاً .
ولا يفهم من هذا القول أن تكون بيوتنا وحياتنا ساحة للإعلام الغربي ، ولا أن تُسلم الأمة لهذه الهيمنة الإعلامية، فقد نهينا عن الاستماع لأهل الباطل والقعود معهم حين يخوضون في بــاطــلــهــم ويـسـتـهـزئــون بالحق الذي معنا. وهم يتربصون بنا ويخادعوننا ويحاولون الاستحواذ على عقولنا وألسنتنا ، وللحق في ليل الظلام نجوم تهدي ذوي البصائر ، الذين لا يـقـفـون فـي صـف من يـقـول:((إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ)) وسدوا عليكم الأرض والسماء والأعين والأبصار، ولكنهم من الـــذيـن لا يحزنهم الذين يسارعون في الكفر، وإنما يدفعهم هذا إلى بذل الجهد لإيجاد منابر للحق جديدة وتدعيم ما هو موجود منها.
الهوامش :
1- ملف البوسنة في هذا العدد ناقش بتوسع العديد من جوانب القضية البوسنية .
2- رواه أحمد والترمذي والبخاري وصححه الألباني .

مقابلة

البيان تحاور الدكتور جعفر شيخ ادريس

الدكتور جعفر شيخ ادريس علم من أعلام الـفـكـر الإسـلامي ومن رواد الدعوة الإسلامية في هذا العصر وقد زار المنتدى الإسلامي محاضراً فـي الملتقـى الثالث عشر وقد اغتنمت البيان هذه الفرصة لإجراء هذا الحوار :
* البيان : نود أن نبدأ الحوار معكم من زاوية الهم الثقافي ، فهل أنتم راضون عن المستوى الفكري للعمل الإسلامي بعد مرحلة الستينات ، مرحلة سيد قطب والمودودي ؟ وهل هناك من جديد أو من تقدم في هذا المجال أم لا ؟

* مــن ناحـية كتب الثقافة العامة لا أظن أن هناك كتباً في مستوى هؤلاء الرواد الأوائــل، لـكـن الـذي حـدث - وهـو شيء حـسـن نحمد الله عليه - نشر كثير من كتب الـسـلـف، وانتشرت بين كثير من الشباب ، خصوصاً في السعودية - البلد الذي أعرفه - وأعرف أنه حصل شيء مماثل في بعض البلاد العربية الأخرى كمصر، وهذه من الظواهر الجديدة التي لم تكن موجودة سابقاً . هذه الكتب الفكرية لها فوائد، وكتب السلف أيضاً لـهـا فـوائــد، والشيء الأمثل أن يوجد هذا وهذا .
فنحن لا نريد أن نعيش فقط على كتب التراث ، بل نريد أن نستفيد أيضاً من هؤلاء الأئمة ومن مناهجهم ، ونواجه مشكلاتنا بمستوى ثقافي وعلمي رفيع نرجو أن يتحقق .
* البيان : تعني : لم يتحقق تطور قوي في هذه الفترة
* أظن هذا والله أعلم .
* البيان: لا شك أنـه حـصـل رجوع إلى الأصالة ، فأقبل الشباب على الاستزادة من العلم الشرعي ، مما أسهم فـي تـصـويب مسيرة العمل الإسلامي إلى حد كبير . ولكننا نلاحظ أن مواجهة المسائل المتعلقة بفقه الواقع لا تزال دون المستوى المطلوب .
* لقد كررت هذا الكلام كثيراً وأقوله الآن . أنا متصل بالحضارة الغربية وأنا عندما أنتقد ، أنتقد أيضاً نفسي لأني كنت مــن الذين يُتوقع منهم شيء في هذا السبيل . وأنا ما زلت أقول لإخواني : ينبغي أن لا نـخــدع أنفسنا ونظن أن الغرب يعدنا تحدياً فكرياً ، أنا لا أظن إلى الآن أن الغرب يعدنا تحدياً فـكـرياً ، ربما بعض المستشرقين الذين درسوا الإسلام وعرفوه قد يعتبرونه تحدياً فكرياً ، لكن عـامـة الـمـثـقـفـين الغربيين كانوا يعدون الماركسية تحدياً فكرياً ويناقشونها ، وتجد أن بعض الطلاب والأساتذة صاروا ماركسيين ، لكن لأن الماركسية أيديولوجية غربية انتقدت الرأسمالية ، وانتقدت الحياة الغربية بمستوى فكري كبير . أما نحن فإلى الآن لا توجد لدينا كتب تضاهي كتب الأقدمين في نقد النصرانية أو في نقد الفلسفة، ككتب الـغـزالـي وابن حــزم وابن تـيـمـيـة وغيرهم في مواجهة الفكر غير الإسلامي ، حتى كتابات الدعاة الكبار التي ذكرناها لا تكفي ، لا يوجد لدينا شيء يمكن أن يقرأه المثقف الغربي ويعتبره نقداً قوياً فينبهر به ويقول : إن هذا نقد قوي .
* البيان: أظن أن هناك نوعاً من التبسيط لقضية فهم الغرب وتحديه، الآن "شعار المسلمون قادمون" رفعته مجلات في أمريكا وكتبت مقالات رئيسية في المجلات اليمينية المعروفة ، وأساتذة جامعيون كتبوا أن المسلمين قادمون ، والإعلام سواء المسموع أو المكتوب اهتم بهذه القضية. وهـنـاك نـوع مـن الأحاديث عـن الـوحــدة الأوربية وأثرها في ضبط منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المستقبل، وهناك نوع من الكلام والتحركات

السياسية والعسكرية وغـيـرهــا للمحافظة على النفوذ في العالم الإسلامي في المرحلة القادمة خوفاً من الإســلام، فهل من المناسب الآن أو هل من الحق أن نقول : إنهم لا يشعرون بالتحدي الفكري ، أظن أنهم يشـعـرون أن الإســلام كمجتمعات تشعر بهويتها ، ويمكن أن تتحد سياسياً ويمكن أن تكون قوة مواجهة يمثل تحدياً فهم يضايقهم أن الصين ليست في صفهم فكيف إذا ولد عالم إسلامي .

* قلت: أنهم لا يشعرون أنه تحدٍ فكري، أما كونه تحدياً سياسياً اقتصادياً فطبعاً ، يمكن لأي قوة أن تصير تحدياً والذي أقوله أنهم لا يعدوننا تحدياً فكرياً . وصورة الإسلام عندهم ليست هي الصورة الصحيحة ، حتى الصحفيون الذين يكتبون عن أحوال العالم الإسلامي وعامة الـمـثـقـفـيـن وحتى الذين يهتمون بالشرق الأوسط والعالم الإسلامي ؛ ليست صورة الإسلام عندهم هي الـصـورة الصحيحة ، والذي يخيفهم ليس هو الإسلام الذي نعرفه . وهذا أمر طبيعي فإذا كانت صــورة الإســلام ليست هي الصورة الصحيحة حتى في قلوب وعقول معظم المسلمين ؛ فكيف نتصور أنها تكون هي الصورة الصحيحة عند الغربيين ؟! أنا لا أقول إنهم لا يعتبروننا تحدياً أو لا يخافــون مـن الإســـلام أو أنهم لا يعدون العدة لمواجهة الإسلام؛ لكن أقول أولاً : هذا الإسلام الذي يخيفهم لا يعدونه تحدياً فكرياً . وثانياً : الصورة التي يخافون منها هي في غالبها ليست الـصــورة الإسـلامـيـة الصحيحة وعـنـدهم خـلـط عـجـيب، فلا تراهم يفرقون بين رجل يفهم الإسلام وتطبيقه، وبين صدام حسين مثلاً .

* البيان: نحن متفقون على أنه في الوقت الحاضر عندنا تراجع في إنتاج دراسات فكرية، أو في تكملة ما بدأه بعض المفكرين الإسلاميين في العصر الحديث ، وعندنا الآن فقر فكري شديد ، لا شك في ذلك ، ما سبب ذلك ؟ هل الموضوعات التي تصلح أن تكون مدار بحث ودراسة أم أن هناك أسباباً أخرى طرأت كفقدان الحرية مثلاً ؟

* أنا أقول : إن جزءاً منها راجع إلى الأفكار ؛ فهؤلاء الرواد الأوائل عاشوا في أجواء من الحرية، نحن الآن قد لا نتمتع بها ، وتثقفوا وكونوا أنفسهم ، وهذا التكوين كان شخصياً فالمودودي ، وحسن البنا وسيد قطب.. هؤلاء عاشوا في أجواء ديموقراطية نسبية ، وكونوا أنفسهم ، وهناك سبب قد لا يرضى عن ذكره المتأثرون بالعقليات الحزبية ، وهو أن هؤلاء كونوا أنفسهم خارج التنظيمات، ولـكـن الـمـؤسف أن حركة هؤلاء الرواد التي تحولت إلى تنظيمات كانت هي من أسباب الركود الفكري، لأن كـثـيـراً مــن الشباب اكتفوا بالحركة اليومية والمواجهات السياسية، وظنوا أن ما كتبه الرواد يكفي، والمهم أن نقوم بشيء عملي ! مع الأسف عملهم هو الذي أدى إلى هذا الركود .

* البيان: لكن إذا قلنا أن التنظيمات هي من الأسباب ؛ هناك من الناس خارج التنظيمات وهم مفكرون وعندهم قدرات لماذا لا يكتبون ؟ إذاً العامل الرئيسي هو الجو المخيم ، انعدام الحرية وحالة اليأس الفاشية بين المسلمين الآن ، يقولون : ما الفائدة من الكتابة ؟ الإسلام مهدد في عقر داره .

* نعم هذا السبب الأول الذي قلناه، وهو سبب إضافي، والـذي قـلـتـه عـن التنظيمات هو شيء معروف ليس فقط في التنظيمات الإسلامية ، بل حتى في التنظيمات الأخرى، أحياناً الـتـنـظـيـم يصور للشخص المنتمي إليه أن مجرد الانتماء إليه عمل عظيم ، ويكتفي بـهـذه الاجتماعات، كـان بـعـض الـغـربيين قـد لاحـظـوا تشابهاً بين الحزب الشيوعي والكنيسة الـكـاثـولـيـكـيـة، قالوا: إن كثيراً من المفكرين ضاقوا بالكنيسة الكاثوليكية لأنها تخنقهم، فخرجوا منها، وأن الـحـزب الشـيـوعـي قد أخذ كثيراً من مواضعات الكنيسة الكاثوليكية فصار قرار الحزب عندهم جزءاً من الشيوعية، كما أن قرار البابا جزء من الدين ، وإلى حد ما لولا أن الإسلام فيه كلام واضح عن أن مـصـادر الـديـن هي الـكـتـاب والسنة فإن بعض الأحزاب كادت تجعل قراراتها جزءاً من الدين ، وإن لم تقل ذلك صراحة ؛ لكنها تهتم بالالتزام بها أكثر من اهتمامها بالالتزام بكثير من نصوص الكتاب والـسـنـة ، وتجد كثيراً من الشباب المنتمين إلى التنظيمات يلتزم فعلاً ولا يداخله شك في وجوب الالـتـزام بقرارات التنظيم ، وإن داخله شك في الالتزام في بعض النصوص الشرعية أو أنه يتسامـح فـي بعض الأمــور الشرعية أكثر من تسامحه في الامور التنظيمية ، على كل حال غاية ما يقال أنــه سبب مـن الأسباب وليس هو السبب الرئيسي..

* البيان: ذكـرتـم فـي الـحـديـث عـن الغرب وقضية المواجهة أن في الغرب الآن عودة إلى الإيمان بالخالق، كيف هذا، وهل نعتبر هذه نقلة تساعدنا في دعوتهم للإسلام ؟

* استقر في أذهـان الغربيين في الماضي أن مسألة وجود الخالق هذه مسألة انتهت ، عندما كنت طالباً أدرس الفلسفة (الغربية)؛ كـان الشيء الـشـائـع بـيـن الفلاسفة أن هذا الموضوع انتهى، لـكـن الـذي فـتـحـه الآن لـيـس الفلاسفة وليس رجال الدين، بل رجال الفيزياء، الفكرة ببساطة أنه في الماضي كان يقال بحـسـب الـنظـرية الفيزيائية القديمة أن هذه المادة أزلية لم تخلق ولا تنعدم، فالـسـؤال مـن أيـن جـاءت لا يـطـرأ، وهذه هي التي بني عليها الإلحاد الأوروبي تقريباً ولا سيما الإلحاد الماركسي، النظـرية الـحـديـثـة التي يسمونها الانفجار الكوني العظـيـم تقول : إن الكون كله كان في شكل ذرة صغيرة وأن هـذه الــذرة مسبوقة بالعدم ، فصار السؤال : من أين جاءت ، - سؤالاً مشروعاً - ففتح الباب بهذه الطريقة ، لكن مع الأسف من الأشياء التي نحن ملامون عليها أنهم عندما بدأوا بمناقشة هذا الكلام لم يجدوا عندهم

شيئاً إلا كتابات فلاسفتهم وفيها الكثير من الخلط الفكري ، وأنا حاولت في مقال سينشر في شكل رسالة صغيرة أن أجمع حججهم الحديثة التي يدافعون بها عن الإلحاد بالرغم من حدوث المادة ، وجئت بكلام العلماء المسلمين كالغزالي وابن تيمية في رد الحجج العقلية الشائعة بين الفلاسفة ، تستغرب أن عقل إنسان يقول لهم أن شيئاً يأتي من العدم ، القرآن يقول : ((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ)) ، يعنى إما أحد هذين أو أن له خالقاً، وكل من هذين مستحيل لذلك جاء ذلك في القرآن بصيغة سؤال استنكاري ((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ) خلقوا أنفسهم ؟! هذا مستحيل ، الذي يقوله الآن كبار هؤلاء الفيزيائيين والفلاسفة هو أحد هذين: إما أن يقول المادة خلقت نفسها ، أو يقول أنها جاءت من العدم ، وقليلون هم الذين يقولون ليس هناك مخرج إلا في وجود خالق ، فلو أن الفكر الإسلامى كان متصلاً بهذه المسائل ، ولو أن المسلمين شاركوا لربما ساعد ذلك على أن يعود هذا العلم الشارد إلى الله ، وقد شجعت بعض الإخوان الذين أعرف أنهم متعمقون بعلم الفيزياء ولهم معرفة حسنة بدينهم أن يكتبوا في هذه القضية التي أصبحت الآن مفتوحة .

* البيان: لا يسمحون، فهم لا يعترفون بعالم عربي أو مسلم فيزيائي أحب أن يكتب بحثاً في هذا الموضوع . لا أظن أن هناك دورية أو مجلة تنشر له هذا البحث .

* ما داموا هم يكتبون تستطيع أن تناقشهم، وبعض الإخوة الآن يكتبون في المجلات الفيزيائية في الاتجاه العادي ، أما الموضوع الديني فقد أصبح موضوعاً شائعاً بينهم ، والمهتمون بعلم الفلك وأصل الكون يسمحون، ولا يشترط أن أقول لهم هذا إسلام أو غير إسلام ، الحجج التي عرفتها من الدين وعلماء المسلمين أذكرها وأبطل بها حججهم .

* البيان : لكن أنت سوف تتعرض لأشياء إسلامية استقيتها من القرآن الذي نعتقد - نحن المسلمين - أنه وحي من السماء،وهم يرون أنك تتحدث عن أمور هي عندهم غيبية وليست عالمية .

* لا ينبغي أن أطرح هذه المسألة، لأن المناقشة عقلية : هل الكون له خالق ؟ ومن المفروض أن أواجهه بما عندي من حجج عقلية أخذتها من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، أو بحسب ما وسعها علماء المسلمين وشرحوها، طبعاً لا أواجهه بأن القرآن قال كذا أو السنة قالت كذا . لأنه لا يؤمن بالأصل حتى إني قرأت منذ أيام كلاماً لشيخ الإسلام فحواه أن الخطاب في مكة كان: يا أيها الناس، لأن الكلام كان عن أصول الدين ، والذي لا يؤمن بالأصول لا يخاطب بالفروع، وما نزلت ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا)) إلا في المدينة ومعها أيضاً ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ)) فنحن الآن في عصر نقول فيه يا أيها

الناس ويا أيها الذين آمنوا ، فعندما نقول يا أيها الناس نواجههم بأصــول الـديـن وبـحـجـجـه الـعقـلية والعلمية لا بالاستناد إلى مصدرها .

- يتبع -

تدوين العقيدة في القرن الرابع الهجري

عثمان جمعة ضميرية

إذ انتهى بنا البحث في تدوين العقيدة الإسلامية إلى القرن الرابع الهجري ، وهو ما أسماه بعضهم بـ"عصر النهضة في الإسلام"، فـإننا نجد مصطلحاً شاع استعماله كثيراً ، ولا يزال ، حتى أصبح عَلَماً على هذا الجانب الذي نؤرِّخ له ، وهو "التوحيد" ، وبجانبه مصطلح آخر هو "الشريعة" مع مصطلحات أخرى. نقف لها هذه المقالة المختصرة ، لعل فيها بعض الغَناء عن كثير من التطويل والإسهاب .

4- التوحيد :

قال ابن فارس في "معجم المقاييس"(1):

"وحد - الواو والحاء والدال ، أصل واحد يدل على الانفراد ، من ذلك : الوحدة . وهو واحد قبيلته ، إذ لم يكن فيهم مثله . قال الشاعر :

يـا واحد العرب الذي مـا فـي الأنام له نظير

ولقيتُ القوم مَوْحَد مَوْحَد ، ولقيتهُ وحدَه . ولا يضاف إلا في قولهم: نسيج وحده ، وعيير وحده.. والواحد: المنفرد.." .

وقال الراغب الأصفهاني في "المفردات"(2):

"الوحدة : الانفراد . والواحد - في الحقيقة - هو الشيء الذي لا جزء له البتة . ثم يطلق على كل موجود ، حتى إنه ما من عدد إلا ويصح أن يوصف به .. فـالـواحـد لفظ مشترك يطلق على ستة أوجه" وذكر هذه الوجوه .

وقال ابن منظور في "اللسان"(3) :

"قال ابن سِيْده : والله الأوحد المتوحد وذو الوحدانية . ومن صفاته : الواحد الأحد . والفرق بينهما - كما قال الأزهري وغيره -: أن "الأحد" بني لنفي ما يذكر معه من العدد ، و "الواحد" اسم بني لمفتتح العدد... ولا يوصف شيء بالأحدية غير الله تعالى" .

والتوحيد في اللغة : الحكم بأن الشيء واحد ، والعلم بأنه واحد ، وهو على وزن التَّفعيل ، وهذا النوع من الفعل يأتي متعدياً ، إلا أحرفاً جاءت لازمة ، كقولهم : روَّض الرَّوْضُ ، إذا تمَّ حسنه ونضارته..

وهذه الصيغة لها معنيان : أحدهما : تكثير الفعل وتكريره والمبالغة فيه ، كقولهم : كسَّرت الإناء ، وغلَّقت الأبواب .

والوجه الثاني : وقوعه مرة واحدة كقولهم : غدَّيت فلاناً وعشَّيته .

ومعنى وحَّدته: جعـلـتـه مـنفــرداً عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته. والتشديد فيه للمبالغة ، أي : بالغت في وصفه بذلك.. وقولهم : وحَّدت الله ، أي علِمْتُه واحداً منزَّهاً عن المثل في الذات والصفات. وقال بعض العلماء: الـتـوحـيـد نفـي التشبيه عن ذات الله وصفاته وألوهيته (4) .

وبعد هذا التعريف اللغوي نشير إلى المعنى الاصطلاحي الشرعي ، فإن التوحيد هو أساس دعوة الإسلام ، وهو دين جميع الرسل والأنبياء ، وهو إفراد الله تعالى بالربوبية والطاعة أو الـعـبـادة، ويشـمـل ذلك أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهـيـة، وتوحيد الأسماء والصفات . وهي كلها متلازمة مترابطة .

وتطلق كلمة "التوحيد" أيضاً: على العِلْم الذي يدرس الجانب العقائدي من الدين، وعندئذ عرفه العلماء بأنه: علم يبحث فيه عن وجود الله ، وما يجب أن يثبت له من صفاته، وما يجوز أن يوصف به وما يجب، وما ينفى عنه، ويـبـحـث عـن الرسل لإثبات رسالتهم وما يجوز أن ينسب إليهم وما يمتنع . وسمي بهذا الاسم تسـمـيـة لـه بأهـم أجزائه، فـهـو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل .

ولما أصبح التوحيد لقباً لهذا العلم ، وجدنا عدداً من العلماء كتب فيه تحت هذا العنوان مثل : "كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب -عز وجل-" لابن خزيمة (306 هـ) ، و "التوحيد ومعرفة أسماء الله -عز وجل- وصفاته على الاتفاق والتفرُّد" لابن منده (395 هـ) ، و "الحجة في بيان المحجة وشرح التوحيد ومذهب أهل السنة" للحافظ قوَّام السنة الأصبهاني (535 هـ) ، و "التمهيد لقواعد التوحيد" لأبي المعين النسفي (508 هـ) وهكذا وضعت كتب بهذا العنوان في عصور تالية ، لن نستقصيها ونتحدث عنها ، لأن ذلك يخرج بنا عما أردناه من إيجاز(5) .

5- الشريعة :

قال ابن فارس في "معجم المقاييس"(6) :

"شرع - الشين والراء والعين أصل واحد ، وهو شىء يُفْتح في امتداد يكون فيه ، من ذلك : الشريعة ، وهي مورد الشاربة الماء . واشتق من ذلك : الشرعة في الدين والشريعة .

وقال ابن منظور في "اللسان" مادة شرع (7):

"الشريعة والشرعة : ما سنَّ الله من الدين وأمر به ، كالصوم والصلاة.. مشتق من شاطئ البحر . ومن قوله تعالى: ((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجاً)) قيل في تفسيره : الشرعة: الدين ، والمنهاج : الطريق.." .

والشريعة - كما قال الكَفَوي - اسم للأحكام الجزئية التي يتهذب بها المكلَّف معاشاً ومعاداً ، سواء كانت منصوصة من الشارع أو راجعه إليه .

ومما ذكره العلماء من تعريف للشريعة نجد أنها تطق على معانٍ متعددة :

أ- فالشريعة هي : كل ما أنزله الله تعالى على أنبيائه ، وهي تنتظم الاعتقاد والأحكام العملية والأخلاق. فهي ما شرعه الله من الاعتقاد والعمل . وبهذا تلتقى مع مفهوم السنة الذي سلف بيانه فيما سبق(8) .
ب- وتطلق كذلك على ما خص الله تعالى به كل نبي من الأحكام لأمته ، مما يختلف من دعوة نبي لآخر ، من المنهاج وتفصيل العبادات والمعاملات ، ومن هنا نقول : إن الدين في أصله واحد ، والشرائع متعددة.
جـ- وتطلق أحياناً على ما شرعه الله تعالى لجميع الرسل من أصول الاعتقاد والبِّر والطاعة مما لا يختلف من دعوة نبي لآخر ، كما قال تعالى : ((شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وصَّى بِهِ نُوحاً والَّذِي أَوْحَيْنَا إلَيْكَ ومَا وصَّيْنَا بِهِ إبْرَاهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى)) [الشورى 13].
د- وتطلق الشريعة بخاصة على "العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان . مثل اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل ، وأن الله موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق.. وأنهم لا يكفرِّون أهل القبلة بمجرَّد الذنوب.. فسمَّوا أصول اعتقادهم : شريعة..
والشريعة في هذا كالسنة ، التي تقدم الكلام عليها ، فقد يراد بها ما سنَّه وشرعه من العقائد ، وقد يراد بها ما سنَّه من العمل ، وقد يراد بها كلاهما(9) .
وممن كتب في اعتقاد أهل السنة والجماعة باسم الشريعة: الإمام الآجري (360 هـ) ، وابن بطة العكبري في كتابه "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" وتوفي ابن بطة سنة (387 هـ) . وطبع الكتاب الأول أكثر من مرة ، وحقَّق رسالة علمية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، قدمها الشيخ عبد الله الدميجي ، وحقق الثاني كذلك الشيخ رضا معطي ، رسالة جامعية في الجامعة نفسها ثم طبع القسم المحقق منها في مجلدين .

6- العقيدة :

قال ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة"(10):
"عقد - العين والقاف والدال ، أصل واحد يدل على شدٍّ وشدَّةِ وثوقٍ . وإليه ترجع فروع الباب كلها . من ذلك : عقد البناء ، والجمع أعقاد وعقود.. وعقدْتُ الحبل أعقده عقداً ، وقد انعقد ، وتلك هي العقدة . وعاقدته مثل عاهدته . وهو العقد ، والجمع عقود .
والعقد : عقد اليمين ، ومنه قوله تعالى : ((ولَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ)) . وعقدة كل شيء : وجوبه وإبرامه . وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه .
واعتقد الشيء : صَلُب . واعتقد الإخاءُ : ثَبَتَ.." .
وقال الراغب في "المفردات"(11):

"العقد: الجمع بين أطراف الشيء . ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء . ثم يستعار ذلك للمعاني نحو : عقد البيع والعهد وغيرهما ، فيقال : عاقدته وعقدته وتعاقدنا وعقدت يمينه.." .
وفي "المصباح المنير" : "اعتقدت كذا : عقدت عليه القلب والضمير ، حتى قيل : العقيدة ما يدين به الإنسان . وله عقيدة حسنة : سالمة من الشك" .
ومن هذه النصوص اللغوية نلاحظ أن مدار كلمة "عقد" على الوثوق والثبات والصلابة في الشيء .
ومن هنا جاء تعريف العقيدة والاعتقاد - كما في المعجم الوسيط - حيث قال:"العقيدة": الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده" .
ومن هـــذا المـعنى اللغوي أخذ تعريف العقيدة في الاصطلاح الشرعي ، فقال الشيخ حسن الــبــنا - رحمه الله - في تعريف العقائد - بصيغة الجمع -: "هي الأمور التي يجب أن يصدِّق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك ، وتكون يقينا عندك ، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك" .
فهي إذن اعتقاد جازم مطابق للواقع ، لا يقبل شكاً ولا ظناً ، فما لم يصل العلم بالشيء إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة . وإذا كان الاعتقاد غير مطابق للواقع والحق الثابت ولا يقوم على دليل ، فهو ليس عقيدة صحيحة سليمة ، وإنما هو عقيدة فاسدة ، كاعتقاد النصارى بالتثليث وبألوهية عيسى - عليه السلام- .
والناس في هذا الاعتقاد يتفاوتون ، وهم في العقيدة على مراتب ، كما أن آثار هذه العقيدة تختلف من شخص لآخر حسب ما يقوم به بـنــفــســـه منها ، واستيقانه بها وفهمه لها وتفاعله معها .
والدراسة التحليلية للعقيدة تشير إلى أنها تـعـتـمـــد على جوانب نفسية وجدانية وإرادية وعقلية في حياة الإنسان ، وتتصل بها كلها اتــصـالاً وثيقاً ، بها تتكامل شخصية الفرد ، وبها ينتفي التضارب والصراع بين قواه المتعددة .
هـذا، وقـــد أصـبـحـت كلـمـة "العقـيدة" اسم عَلَمَ على العلم الذي يدرس جوانب الإيمان والتوحيد - التي سبقت الإشــارة إليها - وأصبح كل من يكتب في هذا الجانب يُطلق على ما كتبه اسم العقيدة ، فيقال : عقيدة الطحاوي ، وعقيدة فلان من العلماء.. وأصبحت هذه الكلمة مضافة إلى الإسلام عنواناً على المادة الدراسية في المعاهد والكليات وغيرهما ، فيقال "مادة العقيدة الإسلامية" .
وأقدم من عرفته ممن استعمل هذه الكلمة عنواناً لما كتبه هو الإمام الحافظ اللالكائي (418 هـ) في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" .
ويقع الكتاب في ثـمـانـيـة أجزاء طبعت بتحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان .
وفي القرن نـفــســه كـتـب الإمــام أبو عـثمان الصابوني (449) رسالته باسم "عقيدة السلف أصحاب الحديث". وكتب الجويني (478) كتابه "الإرشاد

إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد" . وقد سبق كتاب "الـحـجــة في ترك المحجة وشرح عقيدة التوحيد" للحافظ قوَّام السنة الأصفهاني . وهناك كتب كثيرة تحت هذا العنوان نكتفي بما ذكرناه منها .

7- أصول الدين :

والأصل في اللغة: ما يبتنى عليه غيره من حيث أنه يبتنى عليه ، حسياً كان أو عقلياً . ويطلق عند الفقهاء والأصوليين على معان : أحدها: الدليل ، فيقال : الأصل في المسألة الكتاب والسنة . ويطلق على القاعدة الكلية ، كقاعدة لا ضرر ولا ضرار . ويطلق بمعنى ثالث : وهو الراجح والأولى ، كما يطلق على المستصحب .

والأصل في الدين هو التوحيد ، والأصل في الاعتقاد هو الإيمان بالمبدأ أو المعاد .

وعلى هذا فأصول الدين هي : ما يقوم الدين عليه ويعتبر أصلاً له . وهو يقوم على عقيدة الـتـوحــيـــد، ومن هنا سمي علم التوحيد بـ "أصول الدين" كما سماه بعضهم علم "الفقه الأكبر" أو علم "الأصول" . وهي ألفاظ متقاربة .

وعرَّفه بعضهم بأنه : علم يقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية ، بإيراد الحجج لها ، ودفع الشُبَهِ عنها(12) .

وهكذا أصبحت كلمة "أصول الدين" لقباً لعلم العقيدة ، وقد استخدمه الشافعي في كتابه "الفقه الأكبر" ، ولم يشتهر وقتها . ثم وضع الإمام الأشعري (329 هـ) كتابه : "الإبانة عن أصول الديانة" ، ولابن بطة العكبري (387 هـ) : "الإبانة عن أصول السنة والديانة" ، وللإمام أبي منصور ، عبد القادر البغدادي (429 هـ) كتاب "أصول الدين" ولأبي عثمان الصابوني كتابه السابق في العقيدة، يمكن أن نسلكه هنا، حيث قال فيه : "سألني إخواني أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين.." ثم ذكر هذه الأصــــول . ولإمام الحرمين الجويني كتاب "الشامل في أصول الدين" . وغير ذلك من الكتب لغيرهم .

الهوامش :

1- 6 / 90-91 .
2- 514-515 .
3- 3/450-451 .
4- انظر : التعريفات للجرجاني ص (96) ، الحجة في بيان المحجة للأصفهاني : 1/305-306 .
5- انظر بالتفصيل : محاضرات في العقيدة ، لكاتب هذا المقال ص (67-70) .
6- 3/262 .
7- 8-176 .
8- انظر العدد (54) من مجلة البيان ، ص (18-20) .

9- انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه : 19/306-307 .
10- 4/86-87 .
11- ص 341 .
12- أبجد العلوم لصديق خان : 3/67 وانظر فيما سبق : الكليات للكفوي 1/188 ، فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه : 19/134 .

خواطر في الدعوة

ثقافة الكتاب

محمد العبدة

من الظواهر الملفتة للنظر في حياتنا الثقافية هذه الأيام مزاحمة الشريط المسموع للكتاب المقروء ، وخاصة عند جيل الشباب الذي ضاق وقته في زحمة الدراسة وزحمة العمل . وهذا العصر هو عصر السرعة ، فهو يستمع للشريط في غدوه ورواحه ، وربما في المنزل وهو يقوم بأعمال أخرى، والسماع أسهل من القراءة، فالقراءة بحاجة إلى صفاء في الذهن واستجماع طاقة التركيز ، ولهذا بدا وكأن الكتاب - وبخاصة إذا كان من الحجم المتوسط أو الكبير - ثقيل الظل على هؤلاء الشباب .
وقبل أن نتكلم على أهمية الكتاب لا بد من القول أن الشريط الإسلامي الذي يتضمن المحاضرات والدروس القيمة والخطب المؤثرة الصادقة، قد ساهم مساهمة كبيرة في نشر الوعي بين صفوف طبقات كثيرة من الناس - وأعطاهم ثقافة لا بأس بها ، وهو وسيلة فعالة لأسباب كثيرة منها : سهولة التلقي ، وسهولة الشراء ، وسرعة الانتقال ، ولكن هل يغني هذا كله عن الكتاب؟ خاصة للشاب المسلم الذي يؤهل نفسه ليكون داعية، والجواب: لا. ذلك لأن الشريط وإن كان يتضمن علماً مثل الكتاب أحياناً ، ولكن طريقة السماع لا تعطي العمق الذي تعيه القراءة، والمعلومات التي في الكتاب لا يستطيع الشريط استيعابها ، وفي الكتاب تعيش مع المؤلف ومع الكلمات فتعطيك روحاً من روحها ، ونحن نتكلم عن الكتاب المعاصر الذي لا يوجد في شريط والذي يتحدث عن قضايا مهمة جداً من قضايا العصر ، فهل يهمل لأن حجمه فوق المتوسط، فكيف إذا انتقلنا إلى كتب الأمهات والأصول مما كتبه الأجداد ، وهو ذخيرة وأي ذخيرة في فهم الكتاب والسنة ، ولا بد من الرجوع إليها وخاصة التي تعتبر وحيدة في فنها ، ولا نتكلم عن الكتيبات التي زاحمت الكتاب أيضاً ، وهي وإن كانت وسيلة ناجحة لطبقات معينة لكن يخشى أن تصبح هي الأصل ويستسهل الناس أمثالها ، وينفرون من الكتاب حتى ولو كان من الحجم المتوسط .

لا يبني الداعية شخصيته بهذه الثقافة وحدها، لا بد أن يعيش مع الكتاب ، ومع الكتاب النافع المهم ، ويتذكر أنه قبل كل شريط كانت هناك قراءة وكتابة ، وأن العالم أو الداعية الذي يستمع له قد أفنى حياته في القراءة قبل أن يقدم الشريط الجيد، وأما الاعتذار بضيق الوقت فهو حجة واهية، لأن الذي ينظـم وقـتــه لا بــد أن يجد وقتاً كافياً يعيش فيه مع الكتاب ، ونقول له أخيراً : إن القراءة متعة بحد ذاتها ، وإن أول ما نزل من القرآن :
((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَذِي خَلَقَ)) .

دعوة للإنصاف

محمد بن عبد الله الدويش

حين نلقي نظرة سريعة على الجهود المبذولة لإحياء واقع الأمة نجد إنتاجاً ثراً متنوعاً .
فهذا يعني بالعلم ونشره قد أخذ على عاتقه إزالة غشاوة الجهل عن جسد الأمة ، والآخر سلك سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فسخر وقته لإنكار المنكرات المتفشية، وأعلى لذلك نفيس وقته وعصارة جهده . والثالث قد تألم لواقع من استهواهم الشيطان وساروا في طريق الانحراف فرأى أن أفضل ما يعني به وخير ما يقدمه استنقاذ هؤلاء من براثن الفساد والانحراف ، والرابع قد رق قلبه للأكباد الجائعة ، والبطون الخاوية هنا وهناك، فأصبح ينفق من خالص ما يملك ، ويجمع النفقات من فلان وفلان . والخامس قد استهـوتـه حياة الجهاد فـودع وعـاش هـنـاك ينتقـل مــن أرض إلـى أرض مجاهــداً مقاتلاً في سبيل الله ، والسادس رأى أن هذا الدين دين الناس جميعاً فسخر طاقته لدعوة غير المسلمين ، والثامن قد سخر قلمه لخوض المعارك الفكرية دفاعاً عن الإسلام، ومصاولة لأعدائه ، والدخلاء من المتحدثين زوراً باسمه. وآخـرهـم رأى أن عــدة الأمة في شبابها وأن تربيتهم وإعدادهم من خير ما يقدم للأمة ، فصار هذا شأنه .
إنها كما ترى أخي الكريم جهود خيرة مطلوبة لا تسـتـغـنـي عنها الأمة ، وهي كذلك لا يمكن أن يقوم بها فرد واحد ، أو جماعة واحدة ، وهي مهما اختلفت مراتبها وأولوياتها مطلوبة في هذه المرحلة .
وحـيـن نتجه للواقع العملي بعد ذلك نرى التخصص قد حوله البعض إلى تنافر، فـتـراه يحشد الأدلة، ويسوق الحجج لبيان أن هذا الطريق الذي اختاره هو خير ما ينبغي عمله، وأن مــا ســواه لا يـعـدو أن يكــون اشتغالاً بالدون ، وانصرافاً عن المنهج السديد.. ويغدو صاحبنا ينظر نظرة احتقار إلى من سد غير ثغره ، واعتنى بغير بابه ، ويتحسر على جهود هؤلاء المساكين الذين يضيعون أوقاتهم فيما لا فائدة فيه . ولكن حين ندرك :

أولاً: سوء واقع الأمة، والهوة الساحقة بينها وبين ما أراده الله لها وهو أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، ولم تكن هذه الهوة نتيجة قفزة واحدة بل قد تضافر عليها جهود جبارة مغرضة ، ناهيك عن المدى الزمني لهذه الجهود المتضافرة لإفساد الأمة .
ثانياً : اتساع رقعة الانحراف لتشمل كافة الجوانب العقدية ، والفكرية والسلوكية.. فمن تحدث عن الانحراف العقدي ، أو عن انحراف المفاهيم والتصورات ، أو عن الانحراف السلوكي أو عن الخلل في الجوانب العبادية ، أو عن انتشار الجهل وندرة العلم ، وجد في جانب واحد فقط مما يتحدث فيه ما يثري حديثه ، ويستهلك وقته وقلمه .
ثالثاً: أمر آخر يرتبط بأدوات التغيير، وهم البشر، فلقد خلق الله الناس معادن ، ومواهب وطاقات ، فمن يصلح لأمر لا يصلح لأمر آخر. ومن يسد ثغراً قد لا يسده غيره . قال الامام مالك -رحمه الله- : "إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح لـه في الصوم ، وآخر فتح له في الجهاد . فنشر العلم من أفضل أعمال البر ، وقد رضيت بما فـتح لي فيه ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وأرجو أى يكون كلانا على خير" .
رابعاً : وهب أن هذا الفرد أو هذه الجماعة أصبحت تملك قدرات خارقة وخيالية، فتجيد كل الجوانب من تصحيح العقيدة،ونشر العلم، واستنقاذ المنحرفين، وتربية النشء، ودعوة المرأة، والجهاد.. إلى آخر هذه القائمة، هب جدلاً أن هذا الفرد، أو أن تـلـك الـجـمـاعـة أطاقت الأمر كله فهل يعني أنها سدت الثغرة وقامت بالأمانة ؟!
خامساً : لا بد للجيش من رجل في الساقة ، ورجل في الميمنة ، ورجل في الميسرة ، ورجل في الحراسة ، ورجل يعد الطعام ، بل ورجل يخلف أهل من سار للجهاد ، وهي منازل متفاوتة ، ولكن حين نحتكم إلى المنطق نفسه ، والنظرة إياها ، فسيعيب من كان في الساقة من كان في الحراسة ، ومن كان في الميمنة سينتقد من كان يعد الطعام ، وأما صاحب الميسرة فسينعى على من خلف الغزاة في أهلهم ، وكأنه لم يسمع قوله - صلى الله عليه وسلم - : "من خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا" .
فهلا نظرة منصفة ، ورؤية واقعية ، تضع الأمر في نصابه ، فيسد كل ثغرة ويلزم مكانه ، ومع ذلك يحترم جهود الآخرين ، ويشعر أن الجميع يسعى لهدف واحد ، وأن ما فيه غيره ليس بدون ما هو فيه ؟

تراث

هجوم على العمالقة

محمد عبد الله آل شاكر

قال لي صاحبي يوماً وهو يحاورني : لقد أجـمـعـت أمـري علـى أن أفاجئ العالم باختراع جديد، وسَبْق فريــد، أسجِّل حقوقه، فلا يعتدي أحد عليها بالسطو أو التقليد.. قال هذا، وعلامات الجد ترتسم على محياه ، فما عهدت منه إلا الصـرامة والجد . فلا بد - إذن - أن شيئاً جديداً نافعاً يفكر فيه صاحبنا كيما يقدم للأمة ما قـد يكـون سـبـبـاً فـي رفعتها وتقدمها الماديّ والمعنوي ، فتغدو وقد بزَّت غيرها من الأمم ، وتربعت على كرسي الزعامة والريادة .
وبـادرت صـاحـبـي بالـسـؤال عن هذا الاختراع الفريد؟! فقال : إنه جهاز لضغط العمالقة الكبار ، لتحويلهم إلى أقزام صغار! فضحكت حتى وقعت لقفاي وفحصت برجلي..: جهاز لضغط العمالقة! ضحكت، أولاً، لطرافة الفكرة وغرابتها ، وضحكت ثانية : للنكتة تجري على لسان صاحبي - فقد ظننتها نكتة - وما عرفته كذلك. فإذا به ينتهرني لأكفَّ عن ضحكي، فالموقف غاية في الجد والخطورة، فليست هذه نكتة، ولكـنهـا فكرة جديدة، لها سوابق تاريخية واقعية تعطيها صفة المشروعية .
فقلت في نفسي: أمَا وإنّ الأمر جدّ خطير، فـيـنـبـغـي أن أحــذِّر صاحبي من هذا العدوان المبيَّت على العمالقة . فما أظنهم يتركونه يعبث بسمعتهم عندما يفكر بتحويلهم إلى أقزام ، فضلاً عن أن يتركوه يمضي في تحقيق ما يريد ! وإن تواضع العمالقة فسكتوا، أو إن ترفعوا فأغـضـوا؛ أفـيـسـكـت عــن ذلـك كله دعاة حقوق الإنسان؟ ويغضي عنه أناس لا تزال في رؤوسهم نخوة وحمية للإنسانية، وعـنـدهـم أثــارة مـن عـلـم بـعـواقـب هذا البغي والظلم للآخرين..؟
إذ هذا العدوان حرام آثم بحكم الشرع ، وممقوت بغيض بنظر الإنسانية ، ومخاطرة كبيرة بنظر الواقع!
فقال آمناً مطمئناً : ومن ذا الذي حرّمه عليّ وأباحه لغيري؟ فتعجبت من إصراره ، وازددت عجباً من دعواه أن غيره أبيح له ذلك ففَعَله! فما سمعنا ولا قرأنا - على الأقل في صحفنا العربية العتيدة - خبراً عن هذا الذي قام به غيره .
وحتى لا يتركني صاحبي في حيرة من أمري ، وحتى لا أسترسل في عجبي واستغرابي ، اقتادني من يدي ليريني شاهد الصدق على ما يقول ، واقعاً مشاهداً ، نراه بأم أعيننا ، ونلمسه بأيدينا، ونتحسسه عن قرب.. فإذا وقع هذا ، فلا أدلَّ على المشروعية من وقوعه، ومن ثم فهو دليل وسابقة تدل على مشروعية ما يفكر به صاحبي ويعزم على إنفاذه .

دخلت مع صاحبي إلى مكتبته ، فأخذ يتناول بعض ما فيها من مجلدات وكتيبات ، ثم يضعها أمامي، وكأنه يقول: هذا هو الدليل العملي الذي أريد أن أقدمه بين يدي مشروعي ليدل على صوابه وجوازه، أي هذه هي السوابق التاريخية التي أصبحت حجة، لأن أحداً لم يعترض عليها ، فدل ذلك على الموافقة أو الإجماع السكوتي على الأقل.
هذا هو كتاب "المغني" لابن قدامة المقدسي (ت 620 هـ) ، مـوســوعــة ضـخـمـة في الفقه الإسلامي، تباهي به المكتبة الإسلامية، ويعتز بها الفقهاء ، حتى قال عنه سلطان العلماء العز بن عبد السلام - وهو من هو في الإمامة في العلم والاجتهاد - قال عنه : »ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل "المحلى والمجلى" لابن حزم ، وكتاب "المغني" للشيخ موفق الدين بن قدامة ، في جودتهما وتحقيق ما فيهما ، ولم تطب نفسي بالفتيا حتى صارت نسخة من المغني عندي" .
وما أظنني بعد كلمة العز هذه بحاجة إلى الحديث عن مكانة هذا الكتاب الضخم ، الذي بلغ عشر مجلدات كبار ، وفي بعض الطبعات أكثر من هذا ، ولكن أحد الأساتذة المشاركين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قام باختصاره وسماه "المقني في اختصار المغني" ، رأيت منه مجلدين اثنين ، ينتهي الأول منهما بنهاية كتاب الجنائز ، قال فيه صاحبه : "ولعل كبر الكتاب وتوسعه قصر الاستفادة منه - إلى حد كبير - على المتخصصين . ورغبة مني في المشاركة في خدمة هذا الكتاب الجليل ، ومن أجل تعميم الاستفادة منه ، وتقريب تناوله أقدمت على اختصاره.." ص (5) .
وعجبت لعمل الأخ الأستاذ ، مرات .
أولاً : لأنه أستاذ في الجامعة الإسلامية التي كانت ولا تزال ولن تزال - إن شاء الله تعالى - مركز إشعاع ونور وهداية ، والتي نتوسم فيها وفي أساتذتها ومشايخها أن يكونوا سداً منيعاً أمام سيل المختصرات والتشويهات التي بدأت تغمر ساحتنا الفكرية ، وأن يقولوا كلمة الفصل للتفريق بين هذا العبث وبين تذليل العلم لطالبيه .
ثانياً : العجب من فكرة الاختصار نفسها بهذا الشكل ؛ فإن هذا الكتاب الكبير ، لم يكتبه مؤلفه - رحمه الله - لعامة الناس من غير المتخصصين الذين نريد التيسير لهم ، ولهذا فإن عبارة الدكتور: "ولعل كبر الكتاب وتوسعه قصر الإفادة منه - إلى حد كبير - على المتخصصين" لم تضف جديداً ، مع أن هذا القول غير مسلم ؛ فالمغني بعبارته السهلة التي تنساب انسياباً يمكن أن ينتفع به كثير من القراء الذين يراجعون أمثال هذه الكتب ، بَلْه المتخصصين من طلاب الشريعة . وهذا التوسع في الكتاب هو ميزته الفذة .

أَوَليس هناك طريقة أخرى لخدمة الكتاب وتيسير الانتفاع به ، كالفهرسة ، وإبراز بداية الفصول والأبواب والمسائل بخط واضح مثلاً يشير إلى موضوعها بما يغني عن إدخال العناوين الجانبية في صلب الكتاب؟!
وإذا كان هذا المختصر يقع في ثماني مجلدات - كما علمت - فكيف يكون تيسيره للقراء وتعميم الاستفادة منه وهو بحجم يعادل حجم الأصل ، فإن كان ذلك بتيسير شرائه ، فإن القادر على شراء المختصر بهذا الحجم قادر على شراء الأصل الذي يقاربه ، ومن يقرأ في هذا لا يعجز عن القراءة والفهم في الأصل .
ثالثاً : طريقة الاختصار ، التي ذهبت بجلّ حسنات وميزات "المغني" وله من اسمه نصيب فهو المغني حقاً ، يغني طالب العلم عن كثير من كتب الفقه ، ولا يغني عنه كثير منها ، فهو كتاب "في فقه المسلمين كافة" كما يقول الشيخ محمد رشيد رضا ، يذكر أقوال علماء الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار المشهورين ، كالأئمة المتبوعين وغيرهم ، ويحكي أدلة كل منهم.
فقام الدكتور بحذف "التفريعات النادرة الوقوع ، والأقوال الضعيفة أو الشاذة" . وما كان ينبغي له أن يفعل ذلك ؛ فشذوذ القول لا يبيح لنا حذفه من الكتاب ، ووجوده هو الذي يثبت القاعدة الأصل . وكذلك الأقوال الضعيفة ، فكم من قول ضعيف في المذهب مثلاً ، نجده راجحاً عند إمام آخر في المذهب ، أو عند واحد من علماء الترجيح ، وكثيراً ما نجد في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ترجيحاً لواحدٍ من هذه الأقوال .
أما "الاكتفاء من الأدلة بالأصح والأصرح" ، فكان يغنينا لتحقيق ذلك كتاب مختصر في الفقه ، مما يُعنى بالدليل ، لأنه عندئذ لا يستدل إلا بما هو صريح غالباً ، وبما هو صحيح كذلك من حيث الاستدلال ، وتبقى ميزة المغني في أنه يستوعب الأدلة الصريحة وغير الصريحة ، وهذه الأخيرة تشد الدليل وتقويه كذلك .
ومن ميزات المغني كذلك : أنه يعرض لفقه مجموعة كبيرة من علماء السلف ، فاكتفى فضيلة الدكتور "بذكر من قال بالمسائل من أصحاب المذاهب المشهورة غالباً.." وفي هذا حرمان لطالب العلم من معرفة آراء غير المشهورين ، وقد يكون لها قيمتها ومكانتها .
عجبت للأخ الدكتور حين يقول : »أثبت نصوص الأحاديث من كتب الأحاديث..".
فهل معنى ذلك : أن ابن قدامة ، رحمه الله ، لما أثبت الأحاديث واستدل بها في كتابه أخذها من غير كتب الحديث ؟ أم أنه يقصد أن فيها اختلافاً عما يجده بين يديه من كتب الحديث ؟
فإن كانت الأولى ، فأين الدليل ؟. وإن كانت الثانية ؛ فإن أقل ما يقال : إن هذا من اختلاف النسخ والروايات ، وهذا معلوم وقوعه كثيراً.. وحتى لو كان غير ذلك فيمكن الإشارة إلى هذا في حاشية الكتاب .

وأما العناية الكبيرة والإطالة في التخريج ، حتى تبلغ التعليقة أحياناً ثلثي الصفحة بخط دقيق ، فهي تتنافى مع فكرة الاختصار ، وتناقضها أيضاً .
ويزداد العجب أيضاً من قول فضيلة الدكتور في مختصره : »لم أُعْنَ بالتعريفات أو المصطلحات أو المفردات شرحاً أو توثيقاً حتى لا أخرج عن طبيعة الاختصار« فهو قد خرج عن الطريقة قبل قليل . ولو خرج هنا لكان ذلك جائزاً ، فإني أعلم أنه أستاذ جامعي يتلقى الطلبة على يديه أصول البحث العلمي والمنهج الصحيح ، في مواد الشريعة وعلومها ، بين جدران كليات الجامعة الإسلامية ، ولا أظن طالب عالم ينازع في أن المصطلحات والتعريفات - في كل علم - من أول ما ينبغي أن نعنى بها وأن نحددها تحديداً صحيحاً واضحاً ، وإلا وقع الالتباس وضاعت المفاهيم ، وتنازعنا فيما نحن متفقون عليه حقيقة .
وأما الاعتذار عن إهمال الشرح والتوثيق للمفردات حتى "لا يخرج عن طبيعة الاختصار ، هذا مع سهولة الوصول إليها ، لمن أراد التوسع فيها ، في كتب شروح الفقه والحديث والغريب واللغة" هذا الاعتذار يأتي حجة على صاحبه في القيام بالاختصار ، لأنه يعيدنا ثانية إلى كتب الشروح والحديث.. فكان ينبغي أن يخفف العناء ، فيترك "المغني" لمن أراد هذا التوسع ، دون المسخ والاختصار ، ومن لا يريد التوسع فأمامه المختصرات ، فهي تكفيه .
إن اعتراضنا على فكرة الاختصار وأسلوبه له ما يسوِّغه ، فإن كثيراً من طلبة العلم سيقتحمون هذه المخاطرة إذا وجدوا من مشايخهم من يستدلون بعمله ، وعندها تكون الفوضى بأجلى صورها ، وها نحن نسمع أن أحدهم قد شرع باختصار "المجموع شرح المهذب" !

مقال

التطهير !

عبد القادر حامد

تتردد كلمة "التطهير" وصفاً لعمليات الإجــلاء القـسـري الـوحشـية التي يقوم بها الصرب الأرثوذكس الموتورون ضد مسلمي البوسنة والهرسك، فلماذا يلجأون إلى هذا المصطلح ، وما الأثر النفسي الذي يتركه في نفوس وعقول مستخدميه ؟
يعتقد هؤلاء الأوغاد أن المسلمين طارئون على هذه المـنطقة ، وليسوا أصلاً من سكانها ، بل وفدوا مع ما يسمونه الغزو العثماني الذي أخضع البلقان للدولة العثمانية قروناً ، لذلك هم يريدون تطهير البلقان من كل وجود إسلامي، لأنـه يذكـرهـم بسيطـرة المسلمين التي يقض مضاجعهم مجرد تذكرها . ولأن العنصرية نبت أوروبي متحدر من تأثيرات وثنية جاهلية، يـونانية

ورومانية ، ولا علاقة لهذه النبتة برسالات الأنبياء - ومنها رسالة المسيح عيسى بن مريم؛ فـإن هـؤلاء ينـظـرون إلـى غيرهم من أهل الأديان الأخرى هذه النظرة العنصرية البغيضة ويشوهون التاريخ ، ويحـرفــون حـوادثـه حتى يُرضوا نزعة التعصب الخبيثة في نفوسهم .
وقد سمعنا أصداء هذه النزعة مراراً تصدر من هؤلاء المسيحيين الذين يتبرأ منهم عيسى -عليه السلام- ، بل هم عار على كل منتسب للإنسانية يحترم الحياة والأحياء . سمعناها في لبنان عندما قال بعض نصاراها : "فليرجع المسلمون إلى مكة" ، مع أن التاريخ يثبت أن هؤلاء النصارى بعضهم يرجع في أصوله إلى الصليبيين،وبعضهم إلى عائلات مسلمة تنصرت وبعـضـهـم وفـد إلـى لبنان من هنا وهناك عندما أصبح لبنان مرتعاً للمبشرين ومكاناً للقوى الغربية المتصارعة على الأسلاب الإسلامية . وحتى بعد أن فُصِّل لبنان ملجأً للمسيحيين في الشرق،وحشدت الطوائف النصرانية بالحراب الأوربية لتؤلف أغلبية مهيمنة ظل المسلمون أكثرية أمكن إخفاؤها فترة ، لكن انكشف اللعبة وأصبح يعرفها أشد أطفال المسلمين جهلاً بالسياسة، كاثوليك وأرثوذكس ، شرقيون وغربيون ، أرمن ورومان ولاتين ، وبروتستانت، يسوعيون ومـعـمـدانـيون وفرنسيسكان.. خليط عجيب يوهم أن الإسلام ذهب إلى غير رجعة ولم تقم له قائمة، ومع كل هذا الغزو المنظم ، والتجمع اليائس ، فإن حقيقة عدد المسلمين لا تسر هؤلاء الصليبيين إلى الحد الذي يجعلهم لا يوافقون على إجراء إحصاء للسكان .
ونسمع هذه النزعة أحياناً في مصر ، فإن نفراً من الأقباط يعتقدون - يا للجنون - أن هذه الملايين من المسلمين المصريين هم أحفاد عمرو بن العاص ومن كان معه من الجيش الذي فتح مصر . وأنهم - أي الأقباط - فقط هم أهل البلاد الأصليون ، وأن المسلمين معتدون واغلون غرباء ! وربما تحدث بعضَهم أحلامُهم المريضة أنهم سيعيدون عجلة التاريخ إلى الوراء ، وأن مصر ستدفع المسلمين عنها ، كما دفعت الهكسوس واليونان والرومان والإنكليز .
إن النصارى قوم شأنهم شأن واحد أينما وجدوا وحيثما حلوا ، فإذا كانوا أكثرية لا يستطيعون العيش مع المسلمين أبداً ، ولا يزالون يضيقون على المسلمين حتى يفتنوا بعضاً ، ومن استعصى على الفتنة فإما القتل وإما التشريد والتجريد من كل شيء . وإذا كانوا أقلية لا يرضى لهم طموحهم وكراهيتهم للمسلمين بغير أن يحكموهم صراحة فإن استعصى ذلك عليهم فيقنعون بلعب دورهم كاملاً ولكن من وراء حجاب . وإن هذه الأعصار - التي هان المسلمون فيها وتسلط عليهم الأعداء من الداخل والخارج - تعينهم على مقاصدهم ، وهي الفترة الذهبية السانحة ، فتراهم لا يضيعون الوقت لاقتناصها .
ينبغي أن لا ننخدع بهذه الألفاظ المخدرة التي يسمونها الحضارة ، والتطور ، والتسامح ، وحقوق الإنسان ، ومحاربة العنصرية ، فهي ليست إلا قشرة رقيقة

هشة تستر وحشية الأوربيين العنصريين الذين لا يفهمون الدين تربية وتهذيباً وإنما حقداً وعنصرية وتعالياً على الآخرين . وهذا ما يجب أن توضح فيه وتفهم على ضوئه هذه الكلمة الخبيثة : "التطهير" . فهم لا ينظرون إلى المسلمين على أنهم وسخ عادي يحتاج إلى تنظيف وإزالة فقط ، وإنما على أنهم رجس ونجاسة تحتاج إلى تطهير ، فهناك فرق في النظرة إلى الوسخ والنظرة إلى النجاسة ، فالأول يزال والنفس حيادية تجاهه ، والثاني يزال والنفس منه متقززة ، والطبع منه نافر .
وقد يُظَن أن الإعلام الأوربي غير موافق على هذا المصطلح الخبيث ، ويلوم الصرب على استعماله ، والحق أن هذا الإعلام المدخول ينقله ويشيعه كما لو أنه يتحدث عن منطقة موبوءة يراد تطهيرها من عوامل المرض ، بل يزيد تضليلاً وتلبيساً وكذباً حين يصف هذا التطهير "بالعرقي" حتى لا يثير حمية المسلمين الدينية ، فالأمر ليس إلا صراع قوميات ، وما دام الإسلام يضم أقواماً من مختلف الأجناس فالقضية لا تخصهم ما دامت بين قوميات! لكن القائمون على هذا الإعلام يعلمون أن الصرب والكروات والمسلمين كلهم يرجعون إلى أصول عرقية واحدة ، ولا يكاد الناظر إليهم يفرق بين فئة وفئة ، فأشكالهم وألوانهم وملامحهم واحدة لكن فرقتهم العقائد .
لكن الصرب المتعصبين لم يتركوا الأمر غامضاً ، وأفصحوا عما في نفوسهم تجاه الإسلام والمسلمين ، فهم يصرحون أنهم يقاتلون من أجل تطهير أوربا من المسلمين وإنقاذها من الإسلام ، وأنهم هم حماة بوابة أوربا ، وأنهم لا يزالون يقاتلون المسلمين منذ خمس مئة سنة وأنهم يشعرون أنهم خلفاء البيزنطيين . وهذا ليس شعور الصرب وحدهم ؛ بل شعور كل من يشاركهم في العقيدة أو كراهية الإسلام وإن غطت على هذا الشعور كثير من الادعاءات والأكاذيب التي يقصد منها الخداع .
ينبغي على المسلمين في كل مكان أن يدركوا أنهم لم يكونوا - ولن يكونوا - في حساب من وضعوا لوائح الحرية والعدالة وحقوق الإنسان ، فلا مبادئ الثورة الفرنسية يوم أعلنت عُني بها المسلمون ؛ ولا ميثاق جنيف لحقوق الإنسان خطر المسلمون على بال من أقروه . ولا هذه الـ (أل) الداخلة على كلمة (إنسان) هي (أل) الجنس التي تفيد العموم في اللغة ، وتشمل كل من يصدق عليه وصف إنسان عند العقلاء ؛ بل هي (أل) التي للعهد ، والتي يقفز إلى الذهن عند ذكرها مع مصحوبها الإنسان الأوربي أو الإنسان المسيحي ، أو بصراحة ودون لف ودوران : الإنسان ما لم يكن مسلماً !!
ولئن أصاب المسلمين نعيم حقوق الإنسان وتذوقوا حلاوتها فإنما ذلك يأتي تبعاً غير مقصود ، وذلك حين يعيش بعض المسلمين أقلية لا وزن لها في مجتمع من المجتمعات المسيحية ، لكن حين تصبه هذه الأقليات شيئاً يؤبه له يتغير كل شيء ، ويسحب منهم هذا الامتياز الذي يضفي عليهم صفة

الإنسانية . وفي قولنا هذا شيء من التجوز ، فلا يسمح المسيحيون - ولن يسمحوا - أن تتحول الأقليات الإسلامية التي تعيش بين ظهرانيهم إلى شيء ذي بال يؤبه له ، هكذا يقول التاريخ القديم والحديث .
لا بد أن يدرك المسلمون الخطر المحدق بهم ، فإن الضغط عليهم لم يخف ، وما زال الغرب يضغط لشيوع المفاهيم النصرانية التي تزحم الإسلام وتدفع به إلى زوايا النسيان ، على الرغم من خواء هذا الغرب من الدين الصحيح ، وإن التقدم العلمي وسرعة الاتصال ، الذي اختصر المسافات ، بل يكاد يلغيها ؛ يجعل رحيل الاستعمار عن بلاد المسلمين أمراً يحيط به الشك ويكذبه الواقع .
ولا بد لنا في النهاية أن ندرك أن هوان الأقليات الإسلامية المحرومة من الحقوق والمسلط عليها الفناء والاضمحلال هو نتيجة حتمية لهوان الأكثرية الإسلامية في بلادها ، وتفرق شملها ، وذهاب ريحها ، وعدم وعيها بالواقع المحيط بها ، والمخاطر التي تتهددها .

أحوال

شعر: محمود مفلح

غـداً أمـضـي وبـعـد غد أعودُ ... كـــأنــي لا أُرادُ ولا أُريـــــــــد!
ويثقل في دروب النور خطوي ... وفي هذا الدجى بـصـري حـديــد
وما لي قد حنْيتُ اليوم ظهري ... وأزعُـمُ أنـنـي رجـــلٌ شــــديـــدُ
وأزعـم أنَّ مـلءَ السمع ذكري ... وذكـــري مـــثــل صـاحـبـه بليدُ!
وأزعمُ أنـني مـا زلـتُ غـضّـاً ... وفوق الطوْق قد شبّ الحفـيــد!!
وأمـضـي كالكفيف إلى مصيري ... وأمـضـي لا أتـــيــه ولا أحـــيـــدُ
وأعجب كيف لا أستطيعُ نُطقاً ... وتحـتَ لساني الدرُّ الـنـضـيــدُ!!

عتبتُ عليك يا زمنَ الأفـاعـي ... أتـعـبـثُ فـي مـصـائرنا الـقــرود؟
أتـحـكـمـنـا الـنـذالـة والنفايا ... وترسمُ مـا تـشـــاء ومـــا تُـريـــد؟
عتبتُ عليك كيف تشل ساقي ... ويَخفـقـنـي بـدرِّتـك الـعـبــيدُ؟
تواريني التراب ولستُ مـيـتاً ... كـــمـــا واريـتـنـي وأنـــا ولـــيـــد

لـمـاذا يـا عـــدوَّ الله تـبـكـي ... وقـلـبُـك مـن فـظـاظـته حـديـد؟؟
ألفـنــاها دمـــوعَ الـذل حـتــى ... سئـمـنـا مـا نـقـولُ ومـا نُـعـيـد
تجودُ ومـا عـلـمـتُ لديك شيئاً ... تجـودُ به، فكيف إذن تَـجــود؟؟
وتـعـيـيني الإجابةُ يـا صديقي ... فبحر الصمت لـيـس لـــه حـــدود
كتبت على جدار الصبر شعري ... فـلـم يبق الجدارُ ولا الـقــصـيـد!
وعبدّتُ الطريق فـمـا مـشـيـنـا ... وبـيـضـتُ الهـمـومَ وهـــن ســـود
وكـم أرّخْتُ من عطشي فصولاً ... لـتـزهــر فـــي أكـفـكــمُ الـــورودُ!

وكم أنـذرتكم في الصبح جيشاً وقلت لـكـم لـقـد رجعـت يهـود!

وتزحف هذه الخمسون نحوي أَوَ عْـدٌ يـا جُهينةُ أم وَعـيـــدُ؟؟
إلـيـكَ إلـيـكَ يـا وطني المفدى وأدري أنـــه قُــطـــع الـبـريـــد
فلا الزيتـون فـي عـيـنـي ذاوٍ ولا عِـنـب الخليل بـه صـــدود
عشقتكِ يـا جبال الـنـار طفلاً ونارُ العشقَ لـيـس لها خـمـــودُ
أمدّ عليك حيـــن الحرّ جفني ويرعشُ حين أذكـرك الـوريـــدُ
وحاشا أن أخون العهد يومـاً وحاشا أن يساورني الـجـحـــود
أنحيا كالقـطـيـع ولا نـبالـي ونزعـمُ أنه العيش الـرغـيـــد؟
وتـنـسـلـخ الـبلاد بساكنيها وتُنتهك الحـدود فــلا حـــدود
ونمـضغ ذلّـنـا والعارُ يمشي على أكـتـافـنـا ولــه جـــنـــودُ
وكـيـف ألـمُّ يـا أبتاه صوتي ويخرسُ فوق حنجرتي النشيدُ؟؟

الحركة العلمية في بلاد الحجاز في العصر الأموي

د. محمد آمحزون

لا يختلف الباحثون المنصفون على أن تاريخ الدولة الأموية في حاجة ملحة إلى إعادة تقويم وتنقيح ودراسة موضوعية، إذ لا يغيـب عـن الـبـال أن الـتـاريـخ الأمــوي كتب في العصر العباسي . ودارس التاريخ لا يخفى عليه ما قام به الأخباريون الشيعة بـوضـع كـثـيـر مـن الروايات التي تسيء إلى الأمويين، ومـا قـام بـه الـعـبـاسـيـون كذلك فـي سبيل طمس مآثر الأمويين .

ومن أجل ذلك اختلف الباحثون في حكمهم على العصر الأموي بين مؤيد يعلي من مكانتهم ويرفعهم إلى فوق ما يستحقون، ومعارض لا يرى لهم أي فضل أو مكرمة ، بل يرى في فترة حكمهم صفحة قاتمة في سجل التاريخ الإسلامي الحافل. لكـن باسـتـعـمـال الميزان الشرعي الدقـيق الذي ينزل الناس منازلهم التي يستحقونها بالإنصاف والـعـدل، يمـكـن القـول أن التاريخ الأموي كان مزيجاً من المزايا والنواقص ، والمحاسن والمساوئ تيسر لنا فهم التطور الإجمالي لهذا العصر . ففي الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري في باب : "كيف الأمر إذا لم تكن جماعة" عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال : كان الناس يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : "نعم" ،

قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : "نعم ، وفيه دخن" . قلت وما دخنه ؟ قال : "قوم يهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر"(1).
قال بعض العلماء مثل القاضي عياض والحافظ ابن حجر أن المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان - رضي الله عنه - والمراد بالذين تعرف منهم وتنكر حكام وأمراء بني أمية(2) وهم بذلك خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً .
ومن هنا ينبغي إعادة قراءة التاريخ الأموي قراءة واعية منصفة تستند إلى الموضوعية والاستقراء الدقيق ؛ فبرغم ما في عصرهم من اضطراب سياسي واجتماعي وظلم وجور ، فإن الحكام والأمراء قد اعتنوا بدعم مسيرة الفتح الإسلامي ، وتشجيع العلم ، مما سبب تنافساً عظيماً بين العلماء في تحصيل العلوم ونشرها، والتأليف في مختلف ميادين المعرفة.

التفسير:

عند دراسة الحياة العلمية في بلاد الحجاز في العصر الأموي يستطيع الباحث أن يتتبع نشوء التفسير القرآني وتطوره في القرن الأول الهجري على نحو أوضح من كل فروع المعرفة الأخرى . ويرجع ذلك إلى عناية المسلمين بدراسة كتاب الله في المقام الأول .
وقد تولى الله -سبحانه وتعالى- حفظه بقوله : ((إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))(3) . ومن معاني هذا الحفظ أن هيأ له عقولاً ثاقبة ، وقلوباً واعية ، وجهوداً متضافرة عنيت بتفسيره ، وإيضاح معانيه ، وكشف أسراره ، وبيان أحكامه . ويعتبر الصحابي عبد الله بن عباس (المتوفى سنة 68/687 م) شيخ المفسرين في تلك الفترة . فقد كان بحق حَبْرَ الأمة ، وفقيه العصر ، وإمام التفسير(4) . وتعده الروايات الإسلامية أول المفسرين حتى وصف بأنه »ترجمان القرآن«(5) . ولا غرابة في ذلك ، إذ دعا له النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله : »اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين«(6) .
وروى الفَسَوي في تاريخه بإسناد صحيح عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : »لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل" . وكان يقول : »نعم ترجمان القرآن ابن عباس"(7) . وذكر هذه الزيادة ابن سعد في الطبقات من طريق آخر عن عبد الله بن مسعود(8) .
وروى الفَسَوي أيضاً بإسناد صحيح عن أبي وائل قال : »قرأ ابن عباس سورة النور ، ثم جعل يفسرها ، فقال رجل : لو سمعت هذا الديلم لأسلمت«(9) .
ولم يكن ابن عباس - رضي الله عنه - متضلعاً في علم التفسير فحسب ، بل كان ملماً بعلوم أخرى وهي الفقه والمغازي والشعر واللغة وأيام العرب .
وكان يوزع أيام الأسبوع على هذه العلوم حتى لا يحدث على باب بيته الزحام ، ومعنى ذلك أنه عني بها تدريساً وبحثاً .

وقد تتلمذ على يد ابن عباس - رضي الله عنه - جلة التابعين ومنهم : مجاهد بن جبير ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولاه ، وأبو العالية الرياحي ، وطاووس بن كيسان ، وعطاء بن أبي رباح، والسدِّي صاحب التفسير، وأبو الزبير المكي المقرئ، وغيرهم(11). وذكر الحافظ المزي في التهذيب : أن الرواة عنه مئتان سوى ثلاثة أنفس(12) .

وبلغ ابن عباس - رضي الله عنه - من مجد التعليم غايته ، ذلك أن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - خرج حاجاً ، وخرج ابن عباس حاجاً أيضاً ، ولم يكن له صولة ولا إمارة ، فكان لمعاوية موكب من رجال دولته ، وكان لابن عباس موكب يفوق موكب الخليفة من طلاب العلم (13) .

ومن الملاحظ أن تفسير القرآن لابن عباس كان أول دراسة في علم المفردات عند المسلمين ، إذ كان يتتبع منهجاً فريداً في شرح الكلمات الصعبة والكلمات المعربة في القرآن الكريم بشواهد من الحديث الشريف (14) وآثار كبار الصحابة(15) والشعر الجاهلي ، حيث شرح المائتي الكلمة التي سأله عنها نافع بن الأزرق - أحد زعماء الخوارج - بشواهد من الشعر الجاهلي (16) . واعتمد من ناحية أخرى في شرح دلالات هذه الكلمات على أحد المخضرمين ، وهو أبو الجلد جيلان بن فروة الذي يعد من قراء الكتب القديمة(17) كما ورد في المقتبسات الباقية التي ترجع إليه اسمان ليهوديين أسلما ، هما كعب الأحبار وعبد الله بن سلام ، وكانا على علم بالعهد القديم (18) .

وتحسن الإشارة إلى أن تفسير ابن عباس كان موضع تقدير العلماء ، فقد قال أحمد بن حنبل : "بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة (عن ابن عباس) لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً"(19) . ومن آثار ابن عباس -رضي الله عنه-:

* تفسيره الذي وصل إلينا كاملاً بين دفتي "جامع البيان في تأويل آي القرآن" للإمام الطبري .
* غريب القرآن : تهذيب تلميذه عطاء بن أبي رباح ، ويوجد مخطوطاً في مكتبة عاطف أفندي بتركيا(20) .
* مسائل نافع بن الأزرق (في التفسير) : توجد منه قطع في الظاهرية بدمشق ، وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة . كما وصلت قطع منه في كتاب الكامل للمبرد ، وفي فضائل القرآن لأبي عبيد ، وفي الوقف والابتداء لأبي بكر ابن الأنباري (21) .
* مسنده : وهو ألف وست مائة وستون حديثاً ، وله من ذلك في الصحيحين خمسة وسبعون (22) .

* فتاوى : قال ابن حزم في كتابه "الأحكام" : جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن المأمون أحد أئمة الإسلام فتاوى ابن عباس في عشرين كتاباً (23) .
وقد ترك ابن عباس عدداً من الطلاب كان لهم أثر كبير في نشر العلم ، حيث أنشأوا - كأستاذهم - عدة حلقات للدراسة كان الطابع الغالب عليها هو التفسير ، ثم سائر العلوم الأخرى كالحديث وأيام العرب والشعر. وكان كل واحد من هؤلاء مدرسة متنقلة همها التفسير والحديث والفقه . وفي خضم هذا النشاط العلمي المكثف برزت مدرسة مكة للتفسير التي كان عمادها أصحاب ابن عباس من أمثال سعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، وطاووس بن كيسان اليماني ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبي رباح مفتي مكة وغيرهم .
ومن أبرز علماء التفسير في تلك الفترة سعيد بن جبير (المتوفى سنة 95 هـ/ 714 م) . ويعدّ من أكثر التابعين علماً ومكانة ، ومن أوائل مفسري القرآن الكريم . روى ابن سعد والفَسَوي عن ميمون بن مهران قال : »قد مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه ، قال : أرى في التفسير«(24) .
حدّث عن ابن عباس فأكثر عنه ، كما روى عن ابن عمر وعائشة وعدي ابن حاتم وأبي موسى الأشعري . وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وأيوب السختياني والزهري وغيرهم (25) . وكان ابن جبير من طلاب ابن عباس النشيطين ، يحضر مجالسه ويستمع إلى أسئلة الحاضرين ، فيدون أجوبته في الصحف التي كان يحملها معه إذا ذهب إليه . وكان على علم بالحساب ، ولذلك كان الناس يسألونه عن الفرائض . وكان يجلس لطلاب العلم بعد صلاة الفجر وصلاة العصر يقرأ لهم القرآن ويفسر لهم"(26) .
ومن خلال الروايات التي سردها الإمام الطبري في "جامع البيان" يبدو أن تفسيره صنفان : أحدهما لغوي(27) والآخر تاريخي (28) تناولا النص القرآني ، ويذكر أنه كان يتعهد تفسيره بالتعديل والتهذيب(29). وقد اشتهر تفسير ابن جبير ، ورواه عنه جماعة من الشيوخ منهم الضحاك بن مزاحم (المتوفى سنة 105هـ/723م)(30) .
ومن رواد التفسير في ذلك العصر مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكي ، شيخ القراء والمفسرين (31) (المتوفى سنة 104 هـ/722 م) . كان أحد تلاميذ ابن عباس المقربين إليه ، روى عنه فأكثر ، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه (32) . كما روى عن أبي هريرة وعائشة وجابر بن عبد الله ، وتتلمذ عليه ابن كثير المقرئ وابن أبي نجيح والحكم بن عتيبة وغيرهم (33) .
لازم مجاهد ابن عباس وعرض عليه القرآن ثلاث عرضات من أوله إلى آخره ، يوقفه عند كل آية ، فيسأله عنها وعن وقت نزولها وأسباب النزول ، فيحفظ ذلك ويكتبه ، حتى تكون من ذلك تفسيره المأثور الذي اعتمد عليه الطبري

في تفسيره (34) . ولذلك أثنى عليه قتادة بن دعامة السدوسي بقوله : »أعلم من بقي بالتفسير مجاهد« (35) . وقال عن نفسه : »استفرغ علمي القرآن« (36) . وقد غلب على مجاهد الرأي في إصدار الأحكام ، ولذلك كان من أوائل أتباع التفسير العقلي للقرآن الكريم . وفي تفسيره كثير من المجاز وتعبيرات المشبهة ، لكن يبدو أنه أعرض عن ذلك فيما حكاه عنه الأعمش : "ما أدري أي النعمتين أعظم ، أن هداني للإسلام أو عافاني من هذه الأهواء"(37) ؛ يقصد المشبهة والقدرية ومذهب الجهمية(38) .
وكان بعض تفسيره يؤخذ بتحفظ ، وذلك لأنه كان يسأل كثيراً علماء النصارى وأحبار اليهود ، مما جعله ينقل أقوالاً وغرائب في التفسير تستنكر . فقد ذكر أبو بكر بن عياش أنه استفسر الأعمش بقوله : ما بالهم يتقون تفسير مجاهد ؟ قال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب (39) . أما تفسيره فقد وصل إلينا برواية عبد الله بن أبي نجيح (المتوفى سنة 131 هـ/748 م) (40) .
ومن أوائل المفسرين عطاء بن أبي رباح (المتوفى سنة 114 هـ/732 م) ، فهو مفتي مكة ومحدثها ، ومن تلامذة ابن عباس المشهورين (41) . روى عن جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وأبو هريرة وعائشة(42) . وتخرج عليه جماعة من أشهر الفقهاء والمفسرين والمحدثين أخذوا علمه ونشروه في الآفاق ، فكان منهم من نشره في الحجاز ، ومنهم من نقله إلى اليمن ، ومنهم من أصدره إلى الشام والعراق ، ومن هؤلاء الأوزاعي فقيه الشام ، والزهري المحدث ، وابن جريج وأبو حنيفة النعمان وغيرهم (43) .
كما اشتهر في تلك الفترة من بين علماء التفسير محمد بن كعب القرظي المدني (المتوفى سنة 118 هـ/736م) . وقد قيل إنه من أعلم الناس بالتأويل (44) وكان مثل وهب بن مُنَبِّه قاصاً من القصاص يقص في المسجد(45) ، ولذلك غلب عليه الطابع التاريخي . ويتضح من بعض الروايات التي ذكرها الإمام الطبري في تاريخه أن ابن اسحاق استخدم كتاباً للقرظي ذا مضمون تاريخي (46) . ويبدو أنه كتاب في التفسير يتضمن معلومات تاريخية ، لأن الرجل اشتغل بعلم التفسير والأخبار . وهكذا وجدت أقوال محمد بن كعب القرظي سبيلها إلى تاريخ الطبري عن طريق سيرة ابن اسحاق وكان هذا الأخير يأخذ أخبار المغازي من رواة أهل المدينة ، فيتتبع غزوات النبي من أولاد اليهود الذين أسلموا ، ومنهم القرظي . كما كان يرجع في أخبار الأمم السالفة إلى أقوال من لهم علم بالكتاب الأول ، وكان القرظي أحدهم . أما الأخبار المروية عنه ، فهي في سير الأنبياء والرسل ، وفي انتشار الديانة اليهودية والنصرانية في اليمن ، وفي الأمور التي تخص اليهود في الحجاز(48) . وقد كان القرظي من المقربين إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز لمعرفته السابقة به حين كان عاملاً على المدينة . فلما ولى الخلافة كان يذهب إليه ، ويتحدث معه في الزهد وفي القصص وفي التفسير الذي اشتهر به (49) .

الهوامش :

1- أخرجه البخاري فى الجامع الصحيح : كتاب الفتن 8/92 .
2- ابن حجر: فتح الباري 13/36 .
3- سورة الحجر 9.
4- الذهبي : سير أعلام النبلاء 3/331 .
5- ابن سعد: الطبقات 2/366 .
6- أخرجه أحمد في المسند 1/266،316 ، وصححه الحاكم في مستدركه ووافقه الذهبي 3/534 .
7- الفَسَوي : المعرفة والتاريخ 1/495 .
8- ابن سعد: المصدر السابق 2/366 .
9- الفَسَوي : المصدر السابق 1/495 .
10- ابن الاثير : أسد الغابة 3/193 .
11- الذهبي : سير أعلام النبلاء 3/333 .
12- الذهبي : المصدر نفسه 3/333 .
13- الذهبي : المصدر نفسه 3/351 .
14- البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب التفسير 5/194 .
15- ابن حجر: الفتح 8/734 .
16- السيوطي : الاتقان في علوم القرآن 1/149-165 .
17- الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (طبعة دار لمعارف 1/340،3 42،343.
18- الطبري : المصدر نفسه ، انظر مثلاً 11/143-150 .
19- السيوطي : المصدر السابق 2/223 .
20- سزكين : تاريخ التراث العربي 1/67 .
21- سزكين : المصدر نفسه 1/68 .
22- الذهبي : سير أعلام النبلاء 3/358 .
23- ابن حزم : الإحكام في أصول الأحكام 5/92 .
24- ابن سعد: المصدر السابق 6/266 ، والفَسَوي : المصدر السابق 1/712 .
25- ابن حجر: تهذيب التهذيب 4/11 .
26- ابن سعد: المصدر السابق 6/259 ، وابن العماد : الذرات 1/108 .
27- الطبري : جامع البيان ، انظر مثلاً 1/300 .
28- الطبري : المصدر نفسه ، انظر مثلاً 1/282 .
29- ابن سعد : المصدر السابق 6/266 .
30- ابن سعد : المصدر السابق 6/301 .
31- الذهبي : سير أعلام النبلاء 4/449 .

32- ابن سعد : المصدر السابق 5/466 ، والذهبي : سير أعلام النبلاء 4/450 .
33- ابن حجر : تهذيب التهذيب 10/42 .
34- أبو نعيم : حلية الأولياء 3/279 ، وابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير 16/127 .
35- ابن عساكر: المصدر السابق 16/128 .
36- القَسَوي : المصدر السابق 1/712 .
37- أبو نعيم : المصدر السابق 3/297 .
38- الذهبي : سير أعلام النبلاء 4/455 .
39- ابن سعد : المصدر السابق 5/467 .
40- الطبري : جامع البيان 2/66،114،518 .
41- القَسَوي : المصدر السابق 1/701 .
42- ابن حجر : تهذيب التهذيب 7/199 .
43- الذهبي : سير أعلام النبلاء 5/79-80 .
44- الذهبي : المصدر نفسه 5/68 .
45- ابن حجر: تهذيب التهذيب 9/421-422 .
46- الطبري : تاريخ الرسل والملوك 1/216-217.
47- ابن حجر: تهذيب التهذيب 9/45 .
48- الطبري : تاريخ الرسل والملوك 1/138 ، 2/104 .
49- الطبري : المصدر نفسه 1/138 .

المسلمون والعالم

@دماء ودموع البوسنة : على من تعرض الصور؟

أحمد بن راشد بن سعيّد

حرب الإبادة التي يشنها الصليبيون الصرب على مسلمي البوسنة والهرسك هي "هولوكوست"(1) حقيقي وليس مختلقاً ، وكأن دماء المسلمين وأشلاءهم هي التي دائماً تفضح الزيف وتبدد الخرافة من "لا إله والحياة مادة" إلى "أفران ومعسكرات النازية" .

هكذا إذن! وتذكرني مذابح المسلمين التي لا يصدق أن إنساناًيمارسها ضد إنسان في أواخر القرن العشرين، وفي قلب أوروبا المتحضرة الراقية (..) تذكرني إلى حد ما بما فعله الصليبيون في بيت المقدس عندما ذبحوا مائة ألف مسلم حتى خاضت الخيول إلى الركب في دماء المسلمين . وانتقد أحد القساوسة قومه قائلاً إنهم أسرفوا في قتل المسلمين وسفك دمائهم..

وكـما أجمع صليبيو القرن العشرين على تصفية المسلمين الفلسطينيين وتشريدهم ، يجمعون اليوم عـلـى ذبح مـسلـمـي البوسنة والهرسك وتهجيرهم وإذلالهم . وتنبعث من هنا وهناك أصوات غربية تستنكر هذه المذابح . وقد كتبت مجموعة من النصارى في صحيفة الغارديان البريطانية رسالة تشجب فـيـهـا "سياسة التطهير العرقي واضطهاد المسلمين بسبب دينهم وثقافتهم"(2) . ومعظم المنددين مـن الـنـصـارى والـيهـود يفعلون ذلك ليس حباً للمسلمين وإشفاقاً عليهم ، بل خوفاً من تنامي الإسلام وظهوره فـي أوروبـا بشـكـل أكبر ، وهــو ما عكسته مارغريت ثاتشر عندما ذكرت أن بقاء المسلمين في البوسنة أمر مطلوب للقضاء على فرص "تشددهم" الإسلامي ، والذي سينتج حتماً عن سياسة تمزيقهم وإخضـاعـهـم لحكم أجنبي . وقرنت تاتشر بين الهجرة البوسنية والهجرة الفلسطينية قائلة إن يأس البوسنيين المـسـلـمـيـن قـد يدفعهم إلى "الإرهاب" ، وعندئذ تكون أوروبا قد صنعت "قنبلة إسلامية موقوتة"(3) .
مـجـلـة نيوزويك الأمريكية أكدت أن غالبية القتلى والمشردين والمعتقلين هم من المسلمين ، وأنهم بدون مساعدة من الغرب سيلجأون إلى إخوانهم في الإسلام (4) .
الصحافة الغربية تناقلت صوراً وأخباراً عما يتعرض له المسلمون من مذابح وترويع واعتقال وتعذيب . أكثر من 120 معسكراً حشر فيه الصرب آلاف المسلمين والمسلمات . معظم هؤلاء المعتقلين ليسوا »سجناء حرب« ، بل اختطفوا من بيوتهم ليعذبوا ويجوعوا ويقتلوا . روي كوتمان مراسل صحيفة نيوزدي النيويوركية نقل عن شاهد عيان قوله أن معسكر أومارسكا في شمال غرب البوسنة يضم ألف معتقل ، منهم كل النخبة السياسية والثقافية في مدينة بريجدور ، وأن الصرب يعدمون 10-15 شخصاً كل بضعة أيام (5) .
إحدى النساء المعتقلات في المعسكر قالت لمراسل شبكة أي.بي.سي الأمريكية وولتر رودجرز في غفلة عن أعين الصرب : هذا معسكر متوحش ، لا تصدق ما يقولون ، هنا تجري مذابح ، قتل في هذه المنطقة 800 طفل وامرأة ، مئات من الرجال مفقودون . قال لها المراسل تعالي وقولي هذا الكلام أمام الكاميرا ، فأجابت وعيونها تنطق بالرعب وهي تشير بأصبعها إلى حلقها على هيئة الذبح : لو فعلت ذلك لقتلوني الليلة(6) .
اليجا لوجينوفك وهو مسلم كان معتقلاً في معسكر بركوعلى على ضفة نهر سافا في شمال غرب البوسنة قال أن الصرب ذبحوا 1350 شخصاً من معتقلي المعسكر بتقطيع حلوقهم بالسكاكين ثم ألقوهم عرايا في نهر سافا وهم يقولون "هذا طعام الأسماك" . لوجينوفك قال أن الصرب ذبحوا مئات آخرين وأحرقوا جثثهم لإطعامها للحيوانات حتى طبق الدخان أجواء المعسكر . وذكر ليوجينوفك أن المسلمين لاقوا كل صنوف الإذلال والتعذيب الصربي من

تدنيس المساجد إلى ذبح وتشويه السجناء الرجال ، إلى الاغتصاب الجماعي للنساء ، وأنه رأى بأم عينه عشرة رجال قطعت حلوقهم بالسكاكين ، وجدعت أنوفهم ، وقطعت أعضاؤهم التناسلية. كان الصرب في البداية يستعملون الرصاص ثم عدلوا إلى قطع الحلوق. يؤتى بالمسلم فيرقد على ضفة سافا ويوضع رأسه على حجر ، ويهيأ بحيث ينسكب دمه في النهر . بعد شهر من عمليات الذبح هذه لتسعة أعشار المعتقلين ، التفت الصرب إلى أهالي القرى الذين لم يعتقلوا فملأوا بهم المعسكر ، ثم قاموا بذبحهم كما فعلوا بأسلافهم . لجنة الحكومة البوسنية لجرائم الحرب تقول أن ثلاثة آلاف شخص ذبحوا في المعسكر بين أوائل شهر مايو وأوائل يونيه(7) .
صحيفة الاندبندنت البريطانية نقلت عن شاهد عيان واسمه مرساد (أستاذ جامعة) قصصاً عن التعذيب والقتل التي تعرض لها المعتقلون في معسكر بركو . بعض المعتقلين ضربوا حتى الموت ، وبعضهم سلطت عليهم كلاب مجوعة لم تذق طعاماً لعدة أيام . الضحايا - كما يقول مرساد - ظلوا يصرخون ويبكون والكلاب تنهشهم حتى قضى منهم عشرة من الجراح والآلام . الشاهد ذكر أيضاً أن خمسين شخصاً كانوا يؤخذون يومياً من المعسكر ثم لا يعودون ، وقدر عدد الذين قتلوا في المعسكر بما في ذلك الذين قتلهم الصرب عند الاستيلاء على بلدة بركو بخمسة آلاف شخص(8) .
الاندبندنت والغارديان نقلتا عن مرساد أن فتاة صربية ابنة لإحدى المومسات تفننت في تعذيب المعتقلين ، حيث كانت تقوم بكسر القوارير واستعمال شظايا الزجاج لبقر البطون وسمل العيون وجدع الأنوف . يقول مرساد أن مظهر الفتاة لم يكن يدل على هذه الوحشية والإجرام وقد ذهلنا من صنيعها . كانت تعذب المعتقلين وهي تضحك . بالطبع كانت سعيدة بذلك . مرساد فرّ ليلاً من المعسكر وآخرون عابرين نهر سافا وقد قتل الصرب بعضهم أثناء الفرار(9) .
الاندبندنت نشرت صورة مسلم ذبحه الصرب ، وتوضح الصورة أن يديه مقيدتان بالحديد وأن حلقه مقطوع بالسكين (10). الغارديان نشرت صورة مسلم قتيل ملقى في نهر درينا خارج مدينة غوارزدي وقد شوه وجهه تماماً وقطعت أصابعه ، كما نشرت صورة أخرى لجثث قتلى مسلمين طافية على سطح النهر(11) .
صحيفة نيوزدي وصفت الوضع المأساوي لمعسكر بوسانكي ساماك الذي حشد فيه الصرب بوسنيين وألبانيين مسلمين وكروات . سجين سابق روى للصحيفة كيف يجلد المعتقلون بقضبان الحديد والعصي الغليظة حتى تنزف دماؤهم ويغشى عليهم ، وكيف يعذبون بحرمانهم من الماء وقضاء الحاجة وإعطائهم وجبة واحدة فقط خلال 24 ساعة هي عبارة عن قطعة خبز صغيرة مع شيء من المربى . وذكر الشاهد أيضاً أن بعض المعتقلين يجبرون على

أكل الرمل أو ازدراد غائطهم أو ممارسة الفاحشة مع معتقل آخر . الشاهد روى كيف قام الصرب بتعذيب شاب ألباني بجرح حلقه بالسكين وضربه ضرباً مبرحاً ثم قطع ذراعه ، كما روى كيف صف الصرب المعتقلين وقتلوا 15 منهم رمياً بالرصاص ، ثم أمروا الشبان الصغار أن يحملوا الجثث ويضعوها في شاحنة ، وأمروا بقية المعتقلين بتنظيف الأرض من (بركة) الدماء(12) .
الجمعية الدولية لحقوق الإنسان أكدت في تقرير مطول لها أن آلافاً أعدمهم الصرب في معسكر لوكر وأن ثمانية آلاف أعدموا في مانياتشا ، وأن قطع الحلوق والتعذيب بالزجاجات المكسورة وتسميم الأطفال هي من الطرق الإرهابية الشائعة التي يرتكبها الصرب (13) .
مجلة تايم أوردت تقريراً مفاده أن الصرب في مدرسة ابتدائية في براتوناك استنزفوا دماء خمسمائة مسلم حتى الموت من أجل إمداد الصربيين الجرحى بالدم . وفي بلدة فوكاسكا علق الصرب السجناء من أرجلهم ، ثم استعملوا آلات حادة لسمل عيونهم (14) . مراسل مجلة نيوستيتسمان سوسيتي البريطانية ذكر أنه عندما كان في مدينة دوبرينجا واحتل الصرب حياً من المدينة ، قاموا "بتطهيره" من المسلمين . يقول المراسل أن هذا "التطهير" يعني قطع حلوق أكثر الرجال أمام زوجاتهم وأطفالهم (15). المجلة نقلت أيضاً عن ستيف وات (عامل إغاثة) قوله أن كل صربي يحصل على ما يعادل 300 جنيه استرليني مقابل كل طفل يقوم بقتله (16) .
مراسلة الغارديان ماغي أوكين كتبت خبراً تحت عنوان (كابوس المسلمين تحت شمس يوغسلافيا الطويلة الحارة) روت فيه مأساة أهالي القرى الإسلامية ومعاناتهم على يد الصرب . عندما احتل الصرب قرية كوساراك فر بعض النساء والشيوخ والأطفال ، لكن الصرب طوقوهم وقالوا لهم : "أين الله الذي تعبدون الآن ، سوف (نجامعكن(*)) جميعاً أيتها النساء المسلمات" .
ماغي روت أيضاً كيف حبست مجموعات كبيرة من المسلمين في عشر عربات قطار مخصصة للأبقار وكيف حرموا من الطعام والشراب .
الإيكونومست أيضاً روت الحادثة قائلة أن الصرب حشروا أهالي إحدى عشر قرية إسلامية تحت تهديد السلاح في قرية واحدة لثمانية عشر يوماً ، ثم رحلوهم في عربات قطار مخصصة للأبقار ليس فيها ماء ولا طعام . النساء كن يبكين والأطفال يصرخون والصيحات تتردد : ماء.. ماء.. نريد فقط كأساً من ماء! كان الطقس شديد الحرارة ، والعربات مكشوفة لأشعة الشمس ، ولا توجد فيها حمامات . إحدى النساء قالت : "كان الواحد منا يغشى عليه ثم يفيق ، يغشى عليه ثم يفيق" . عند إحدى المحطات أخذ الصرب مجموعة من الفتيات الصغار ، ثم لم يرين بعد ذلك . مكث المسلمون داخل هذا الجحيم خمسة أيام بلا ماء ولا طعام ، وهم يصرخون ويضربون النوافذ بأيديهم ، وقد

توفي بعضهم . في نهاية المطاف تم ترحيل النساء والأطفال إلى كرواتيا ، وأخذ الرجال ليسجنوا في ملعب بوسانكي نوفي الرياضي (17) .

أعراض تنتهك.. ولا معتصم

اعتقال المسلمات واغتصابهن ، سيما صغيرات السن (13 سنة فما فوق) ، أصبح ظاهرة مفزعة في المناطق التي يستولي عليها الصرب . الصحافة الغربية روت قصصاً مطولة عن إذلال المسلمات واغتصابهن . الاندبندنت نقلت عن أربع مسلمات في سراييفو أن البوسنيات يتعرضن لاغتصاب جماعي وسلب أمتعة وحلي وأشكال مختلفة من الضرب والإذلال . ثلاث فتيات تتراوح أعمارهن بين الخمس عشرة والعشرين قلن إنهن ومائة امرأة أخرى تعرضن لاغتصاب الصرب مراراً خلال سبعة أيام يعد اعتقالهن في مدرسة في بلدة روجاتيكا . امرأة مسلمة قالت : "أنا أعرف الناس الذين أحرقوا بيتي وسرقوا أشيائي وأخذوني سجينة.. إنهم أصدقائي وجيراني". الصرب نقلوا هذه المرأة وابنتها ذات العشرين ربيعاً إلى سراييفو ومعهما قرابة 300 شخص حبسوا لأسبوع في المدرسة . الفتاة قالت أن مسلحين أخذوها من المدرسة في ليلة الأول من أغسطس واقتادوها والسكين مشهرة على حلقها لثلاث ساعات إلى شقة جار صربي ذكرت اسمه . قالت الفتاة : "اغتصبني جاري أولاً ، ثم تبعه الباقون ، وظللت اغتصب أربعة ليال" . أم الفتاة (قتل زوجها في المعارك) قالت : "عندما جاء الصرب إلى المدرسة حاولت حماية ابنتي والبنات الأخريات ، لكنهم ضربوني وركلوني بأحذيتهم.. لم يكن هناك ما أستطيع عمله" ، وأضافت أن كل الشابات المحبوسات في المدرسة (أكثر من مائة شابة) تعرضن للاغتصاب ، وفيهن أمهات بأطفالهن ، وأن ابنة عمها توفيت في المدرسة(18) .

فتاتان أخريان (أختان) وصلتا إلى سراييفو قالتا أن مجموعة صربية تناوبت على اغتصابهما . إحداهما (15 عاماً) قالت أنها أخذت من المدرسة في الثلاثين من يوليه إلى مقر قائد الميليشيات الصربية المحلي الذي أخذها إلى شقة واغتصبها ، ثم أعيدت إلى المدرسة حيث اغتصبها ثلاثة صرب . الأخرى (17 عاماً) قالت أنها تعرضت لاغتصاب متعدد ثلاث مرات ، مرتين على أرض المدرسة ، ومرة في شقة حيث اعتدى عليها خمسة صرب . قالت : "لقد ضربوني حين قاومت خلع ملابسي ، وقد صفوا صفاً واغتصبوني الواحد تلو الآخر.. أنا أعرف ثلاثة منهم جيداً"(19) .

روي كوتمان مراسل نيوزدي ذكر أن ثلاثة جنود صرب اعتقلوا أربع فتيات وأودعوهن سيارة شحن عسكرية . ثلاثة منهن أخذهن الصرب إلى بيت كان لشخصية مسلمة بارزة ، وهو الآن (بيت اغتصاب) ؛ وهناك سلموهن لاثني عشر صربياً لينتهكوا أعراضهن ، ثم قام الثلاثة باغتصاب الرابعة في السيارة العسكرية(20).

نيوزويك نقلت عن شاهد عيان بدت عليه آثار الذهول قوله أنه رأى ثلاث بنات مسلمات قرب تزلا شرقي البوسنة . وقد أوثقهن الصرب بالحديد إلى حائط ، واغتصبهن من شاء منهم ثلاثة أيام ، وبعد ذلك سكبوا عليهن (الجازولين) وأشعلوا فيهن النار(21) .
فتاة مسلمة قالت في مقابلة مع تلفزيون بي.بي. سي ، وقد أخفت وجهها عن الكاميرا أنها و 23 امرأة أخرى اعتقلن في قبو واغتصبن أربعة أشهر وأن الصرب يعتدون عليهن أحياناً وهم سكارى، وأن صديقة لها قاومت فقتلوها. الطبيب الذي يعالج هذه الفتاة أخبر مراسل بي.بي.سي أنها حبلى ، وأنها ليست في وضع نفسي يؤهلها لسماع هذا الخبر(22) .
تقارير الاغتصاب لا يسعها الذكر هنا . روي كوتمان مراسل نيوزدي يقول أن هذه التقارير كثيرة جداً إلى حد أن بعض المحللـيـن يعـتقدون أنه اغتصاب "منظم" . سيفكو عمر باسك زعيم الجالية الإسلامية في كرواتيا وسلوفينيا صرح أنه استنتج من خلال اتصالاته بمئات الـلاجـئـيـن الـقـادمـيــن من البوسنة أن "كل النساء الشابات قد اغتصبن" . كوتمان ذكر أن هناك تقارير كثيرة عن اغـتـصـاب تناوبي لبنات صغيرات السن وأن »آلافاً ربما عشرات الآلاف من ضحايا الاغتصاب قد يبقين في معسكرات الاعتقال"(23) .

صليبية المذبحة :

حدد الصرب أهدافهم منذ البداية فأعلنوا أنهم يريدون القضاء على المسلمين في البوسنة ومنع قيام دولة إسلامية في أوروبا . وقد لامست هذه الدعوة شغاف الغربيين ، فاستجابوا لها، رغم أنها دعوة صليبية متخلفة طالما زعـــم الغرب أنه لا يتبناها . وقد أدت الجهود الصربية والغربية معاً إلى إقناع كرواتيا بهذا المفهوم ، ففي الثاني عشر من أغسطس 1992 هاجم الرئيس الكرواتي المنتخب فرانكو توجـمـــان "عـنـاصـر في الحكومة البوسنية تسعى لإقامة دولة مؤسسة على الأصولية الإسلامية"(24) . وفي مقـابـلـة مع مجلة نيوزويك صرح توجمان أن الكروات "مهددون (برغبة) المسلمين في إقامة دولة إسلامية" ، واقترح أن تحل مشكلة البوسنة بأن تضم المناطق المأهولة بالصرب إلى صربيا والمـنـاطق المأهولة بالكروات إلى كرواتيا ، الأمر الذي يسمح "بوجود دولة إسلامية صغيرة في وســـط البوسنة" . وأضاف: "إن ذلك سيضع حداً لأية مطالب أو محاولات لإنشاء دولة إسلامية كبيرة في قلب أوروبا" (25) . هذا الموقف يعتبر تحولاً حاداً في التحالف البوسني الكرواتي الهش ، ويعني أن الصرب والكروات أصبحوا يداً واحدة ، وأن الكروات سيحتفظون بجمهوريتهم التي أعلنوا تأسيسها داخل الأراضي البوسنية تكريساً لواقع التقسيم .
وشواهد صليبية المذبحة كثيرة ، فقد قام الصرب بذبح المسلمين ورسم الصليب بالسكين على أجسادهم ، كما قاموا بتدمير المساجد في كل بلدة

يحتلونها . مجلة الإيكونومست ذكرت أن الصرب نسفوا مساجد بلدة بوسانكي نوفي شمالي البوسنة في إطار عملية تفريغها من المسلمين (26) . الغارديان ذكرت كيف قام الصرب بنسف المساجد وإحراقها . ونقلت عن جندي صربي قوله أن المسلمين لن يعودوا إذا دمرت المساجد(27) .
مجلة نيوستيتسمان سوسيتي نقلت عن بعض الصرب قولهم أن كل المسلمين - في الأصل - "عرب قذرون يمسحون أدبارهم بأيديهم" (28) .
مراسل شبكة اي.بي.سي الأمريكية والتر رودجرز ذكر "أن أكثر الصرب يقولون أن القتال في البوسنة أمر ضروري لمنع انتشار الإسلام في أوروبا" .
أحد الجرحى الصرب أخبر رودجرز أن "سبب هذه الحرب أن المسلمين يريدون إقامة دولة إسلامية في بلادنا"(29) . مراسلة شبكة اي.بي.سي شيلا ماكفيكار قالت في تقرير لها من مدينة اليجا البوسنية أن القادة العسكريين الصرب يقولون أنهم »يشنون حرباً دينية ، نصارى ضد مسلمين ، نوع من الحرب الصليبية في القرن العشرين" . القائد العسكري الصربي لاليجا توما كوفاش قال للمراسلة : "الذي تحاول الحكومة البوسنية عمله هو إقامة دولة إسلامية في أوروبا . نحن نعرف ، نحن الصرب نقاتل المسلمين منذ خمسمائة عام" . أحد الصربيين الذين يقصفون سراييفو قال لشيلا : "أتمنى أنه لا يزال لي أصدقاء في سراييفو . ربما أصبحت الآن عدواً لهم" . وقبل أن يلوح لشيلا ويعود لممارسة القتل قال : "هذه نهاية حضارة"(30) .

العالم الغربي والأمم المتحدة : فضيحة "الحياد"

يتعاطف الغرب - كما قلت - مع النظرة الصربية الصليبية للمعركة ، ويسعى إلى أن يحقق الصرب أهدافهم في أقصر فترة ممكنة . ولذلك تنادت الدول الغربية المهيمنة على مجلس الأمن (ولا يمكن فصل موقف العالم الغربي - لا سيما أمريكا - عن موقف الأمم المتحدة بسبب هذه الهيمنة)، تنادت لاستصدار قرار في بحظر السلاح عن جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي المنحل بما في ذلك البوسنة والهرسك التي تتعرض لحرب إبادة .
إن اعتراف هيئة الامم المتحدة بجمهورية البوسنة والهرسك يعنى - حسب المادة السابعة من ميثاق هذه الهيئة - أن تهب لنجدتها متى تعرضت لعدوان .
لكن نجدتها كانت في حظر السلاح عنها . الحظر شمل صربيا ذراً للرماد في العيون ، فصربيا قد ورثت جميع ذخائر ومعدات الجيش اليوغسلافي ، وجعلته تحت تصرف عصاباتها الحاقدة . أما جمهورية البوسنة والهرسك فلا زالت "وليدة" وتحتاج إلى السلاح من أجل الدفاع عن النفس . ولما انكشفت كذبة العقوبات على صربيا وتضح أن المتضرر الرئيسي هم المسلمون وطالبت الحكومة البوسنية برفع الحظر عنها لتمارس حقها الطبيعي والقانوني في الدفاع عن النفس ، رفضت الدول الغربية ذلك لان "إعطاء الأسلحة لن يحل المشكلة ، بل سيطيل أمد الحرب" هكذا فالمطلوب استسلام وبدون نقاش .

وما تزال الدول الغربية تصر على وصف المأساة بأنها "حرب أهلية" ، وليست عدواناً على دولة مستقلة، وما تزال ترفض التدخل العسكري ، حتى وإن كان مقتصراً على استعمال الطائرات لإخراس المدافع الصربية ، لأن المعركة - كما تقول هذه الدول - "معقدة" وناتجة عن "كراهية تاريخية" ولأن التدخل ربما يقود إلى "فيتنام أو افغانستان أخرى"، بل إلى "حرب عالمية ثالثة" !
ثم لجأ الغرب إلى وسيلة نفاق أخرى، وهي إرسال المساعدات الغذائية والطبية إلى سراييفو وسراييفو كما نعلم ليست إلا مدينة من مدن الجمهورية ، وهناك مئات الآلاف من المسلمين متوزعون في أنحاء البلاد لم تصل إليهم المساعدات. وبعد ترتيبات وإجراءات طويلة وصلت قوات الأمم المتحدة، لكنها كانت وبالاً وشراً، فقد ورد أنها قامت بقتل عدد من المسلمين، كما ثبت تورطها في إخفاء معلومات عن مذابح اعتقالات جماعية للمسلمين. الجنرال لويس مـاكـيـنــزي قائد قوات الأمم المتحدة السابق في سراييفو (كندي) شدد في عدة مقابلات مع المراسلين والصحفيين على إنه "محايد" وأنه يحمل كل الأطراف المسئولية ، وألقى باللوم عدة مرات على جانب المسلمين، وقد تعرض على حد قوله لتهديدات عديدة بالقتل، لكنه لم يفصح عن مصدرها . وعندما اختتم مهمته ووصل إلى الولايات المتحدة في أوائل أغسطس عقد مؤتمراً صحفياً في مبنى الأمم المتحدة قال فيه أنه وجد في هذا القتال كراهية لم يشاهد لها مثيلاً في حياته، لكنه لم يبين الطرف الذي تستبد به هذه الكراهية(31). إنه (الحياد) الذي جعل ماكينزي مكروهاً من مسلمي البوسنة . المصور الدانماركي جاركون هلديبراندت ذكر أن كل شخص تحدث له في مدينة جورادزة الإسلامية (المحاصرة الآن من الصرب) يكره ماكينزي ويعتبره رمزاً لكل الأخطاء(32) .
إن (الحياد) هر الذي دفع ماكينزي والأمم المتحدة إلى إخفاء المذابح والتستر عليها قبل أن تكشفها تقارير وصور المراسلين في أواخر شهر يوليه . قوات الأمم المتحدة في سراييفو علمت بالإعدامات العشوائية الجماعية للمسلمين في شهر مايو. هذه المعلومات تؤكد أن الإعدامات جارية (لتطهير) المنطقة من المسلمين، وأن المسلمين يتعرضون لحرق البيوت والإرهاب المنظم من قبل الجماعات المسلحة الصربية ، كما أنهم يرغمون على توقيع أوراق تقضي بالتنازل عن ممتلكاتهم مقابل السـمــاح لهم بالخروج أحياء من البوسنة والهرسك(33) .قوات الأمم المتحدة وقفت ايضاً تـتـفرج في شهر يوليه الماضي على القوات الصربية وهي تجمع مدنيين مـسـلـمـيـن عـــزلاً من السلاح في ملعب رياضي، ثم تفصل الرجال وترسلهم إلى معسكرات الاعتقال . الأمم المتحدة بررت سياسة اللامبالاة والصمت هذه بأن لدى قوات حفظ السلام أوامر بأن تبقى محايدة مهما يكن من أمر(34) .مندوب البوسنة لدى الأمم المتحدة محمد ساكربي وصف عملية التستر هذه بأنها "خيانة"

وانتقد هذا "الحياد" المزعوم الذي يعني غض الطرف عن وحشية المعتدي ومعاناة المعتدي عليه .
في الحادي عشر من أغسطس توج ماكينزي قائد قوات الأمم المتحدة (السابق) حياده التاريخي ونزاهته النادرة بإخباره الحكومة الأمريكية أنه لا يؤيد التدخل العسكري في البوسنة ، حتى ولو لحماية القوافل الغذائية، وبرر (المحايد) ذلك بقوله "إن هذا التدخل سيشجع البوسنيين على الاستمرار في القتال بدلاً من التفاوض مع الصرب"(35).. أيها المستر ماكينزي لقد زاد إيماني بعظمة هذا الإسلام المطارد وجدارته المطلقة بقيادة البشرية ، مستر ماكينزي هذا الدين لا بد أن يقود العالم ويستنقذه من قيم الصليب وعربدة ونفاق الصليبيين الذئاب ، مستر ماكينزي والله الذي لا إله إلا هو لن يبقى مدر ولا وبر في بلاد الغرب الأبيض "المتحضر" إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل..
وإضافة إلى الأمم المتحدة فإن منظمة الصليب الأحمر كانت (محايدة) أيضاً ، وأخفت معلومات عن انتهاكات لحقوق المسلمين وعن اعتقالات جماعية وعمليات تعذيب واغتصاب منظمة ، وبعد تسرب هذه الأخبار إلى الصحافة الغربية اعتذرت المنظمة بأنها كانت تريد التريث والتحقق من صحة التقارير المفزعة التي لديها .
الجماعة الأوربية (EC) التزمت (الحياد) هي الأخرى ، ولم تتخذ أي إجراء ضد الفظائع التي جرت وتجري في معتقلات الصرب. محمد شــاكــر بــي مـندوب البوسنة لدى الأمم المتحدة اتــهــم الجماعة الأوربية بتلقي معلومات مبكرة عن فظائع المعتقلات وعدم المبالاة بها، وقال : "إن المرء ليتساءل ماذا علم اللورد كارينغتون (عن هذه المعتقلات) ولماذا لم يعلن هذه المعلومات"(36) .
إن الدول الغربية ومنظماتها (الإنسانية) والسياسية لم تحرك ساكناً تجاه ممارسات الصرب ، بل شجعتهم في الخفاء ، ومكنتهم من خلال حظر الأسلحة عن البوسنة ، وعمليات المساعدات الغذائية النفاقية ، والتهديدات الجوفاء - مكنتهم من الاستمرار في عمليات الذبح والطرد والتعذيب والاغتصاب . وحتى عندما أحرجت أمريكا بتقارير (معسكرات الموت) أعلنت أنها تأكدت من وجود هذه المعسكرات ، لكنها "لا تخطط للاحتجاج على ذلك"(37) .
إن فضيحة القيم الغربية والمنظمات الدولية والقانون الدولي في كارثة البوسنة والهرسك هي أوضح من الشمس في رابعة النهار . ما أكثر ما نادت حكومة البوسنة دول العالم - أي دولة - بالتدخل العسكري لإنقاذها، لكن الدول أحجمت، مع أن هذه الحكومة (شرعية) بالمنظور الغربي ، أي أنها منتخبة وديموقراطية . ومرات توسلت حكومة البوسنة للعالم أن يرفع عنها الحظر - على الأقل - لتدافع عن نفسها هذا العدوان الشرس ، لكن النظام

العالمي الجديد سكر بصره وسمعه ، لأنه لا مكان لمسلم في حياة ، فضلاً عن حياة كريمة وعيش مستقر في ظل هذا النظام الصليبي المتوحش .
وحتى قرار الأمم المتحدة بشأن حماية المساعدات الإنسانية هو قرار جاهلي جائر يفضح الرياء الغربي ، حيث يسمح باستعمال القوة كحل أخير إذا هددت قوافل الإغاثة فقط ، وكأن إطعام الناس المحاصرين أولى وأهم من إسكات المدافع التي تحرق منازلهم وتمزق أجسادهم ليل نهار . لقد بلغ عدد القتلى من المسلمين خمسين ألفاً(38)، وقرار الأمم المتحدة يعني إعطاء الضوء الأخضر للصرب ليستمروا في عمليات الذبح ما دام أنهم يسمحون بمرور قوافل الإغاثة ، أي أنه يقول للبوسنيين المسلمين : موتوا وبطونكم ملأى . لقد صرح البوسنيون مراراً للصحفيين والمراسلين: الطعام وحده لا يكفي، لا نريد أن نصبح عالة يتصدق علينا الناس بالطعام ، نريد سلاحاً لندفع عن أنفسنا هذا البلاء ، ونذب عن ديـــنـــنـــا وأعـــراضـــنـــا . محمد شـــاكر بي مندوب البوسنة لدى الأمم المتحدة أخبر صحيفة الاندبندنت أن في ســـرايـــيـــفو وحدها خمسين ألف شخص مستعدون للقتال ، لكن السلاح الموجود يكفي خمسة آلاف فقط (39) .
مـــســـلـــمـــو البوسنة هم ضحايا النظام العالمي الجديد ، ضحايا الحقد الصليبي و(الميكافيلية) والـــنـــفـــاق الـــغـــربي والغياب الفعلي للأمة الإسلامية عن مسرح الأحداث . هم كما وصفتهم الصـــحـــافـــة الغربية "الفلسطينيون الجدد لأوروبا" . تقاسم الصرب والكروات أرضهم . نسبتهم 45 في المائة من سكان البلاد، لكنهم يسيطرون الآن على 5 في المائة منها فقط (40) . الصرب يقولون : فليذهب المسلمون إلى الجحيم . أكثرهم - كما تقول كاتبة الغارديان ماغي أوكين - في جحيم فعلاً، إما في معسكرات اعتقال مكتظة، أو في قطارات إلى استقبال بارد في أوروبا(41). مليون وثلاثمائة ألف شخص أخرجوا من البوسنة معظمهم من المسلمين (42) . في الحادي عـــشـــر من أغسطس أعلن الصرب بوقاحة (وهم واثقون بوقوف إخوانهم الغربيين معهم) أنهم سيطردون 28000 مسلم ، وأن على الأمم المتحدة أن تبحث لهم عن مكان يأوون إليه(43) .
ماذا تعني قيم (العالم الحر) - كما أكدت هذه النكبة - غير تلبية مشاعر التطرف الصليبي ، ومصادرة حق الإنسان المسلم في العيش الحر الكريم في بيت له وعلى ثرى وطنه . ربما قامت الأمم المتحدة قريباً بإقرار تقسيم البوسنة ، أي نفس الدور الذي قامت به عام 1947 عندما كرست الظلم وصوتت لتقسيم فلسطين . مجلة الإيكومونست التي تمثل الخط اليميني السائد في بريطانيا اقترحت تكريس (الأمر الواقع) قائلة أن "أوروبا الغربية لا بد أن تدرك أن صربيا وكرواتيا ستصبحان أكبر مساحة من ذي قبل.. (و) إذا تم الاعتراف بذلك سريعاً انتهت الحرب سريعاً" . المجلة ذات الشعور الإنساني

الرقيق (..) أضافت : "في غضون ذلك أوروبا تستطيع أن تعمل أكثر لمساعدة الابرياء الذين يريدون الخروج من (البوسنة) ، أي الترحيب باللاجئين"(44) .
هكذا يستجيب العالم (المتحضر) للعدوان : يكافئ المعتدي ويعطيه 95% من أراضي دولة مستقلة ومعترف بها ، ويغض الطرف أو يبارك سياسة (الفرز) الديني وتدمير المساجد وانتهاك الأعراض وسحق الأطفال وإذلال كرامة الرجال الشرفاء وجز هاماتهم وإطعام أجسادهم الكلاب . وحق للمرء أن يتساءل : "ماذا قال الرئيس بوش في عام 1990 عندما دخل العراق الكويت ، "استعمال القوة يجب ألا يكافأ في أي مكان من العالم" ؟ حسناً . سلوبودان ميلوسفش نال مكافأته"(45) . هذه هو الوجه البشع للنظام العالمي الجديد . تعالوا معي فتأملوه !

الدور الإسلامي

لقد أدى تشجيع الغرب لحرب الإبادة التي يشنها الصرب ، وتفضيله تقسيم البوسنة إلى ثلاث مناطق (كما هندس ذلك المفاوض الإنكليزي كارينغتون) وحظر السلاح عن مسلمي البوسنة ، كل ذلك أدى إلى إطلاق يد الصرب ليس فقط في البوسنة والهرسك ، بل في إقليم كوسوفو ذي الأغلبية الإسلامية المطلقة . لقد أكدت الجمعية الدولية لحقوق الإنسان مؤخراً أن أهالي كوسوفو يتعرضون الآن لممارسات قتل وتهجير وإذلال شبيهة بالتي تحدث في البوسنة والهرسك ، وأن الصرب يعمدون إلى تسميم جماعي واسع النطاق لأطفال الأقليم(46) .

هذه الأوضاع المحزنة تحتم على المسلمين التحرك على المستوى الشعبي والرسمي لنصرة دينهم وإنقاذ إخوانهم . إن الغرب يقدم لنا (فلسطين) ثانية وهو يضع اللمسات الأخيرة على نعش فلسطين الأولى . ماذا ينتظر المسلمون ؟ لماذا هذا البرود المخيف والصمت المطبق عما يجري في البوسنة والهرسك ؟ إن هذه الأخبار والصور تعرض على أمة معروفة بالنخوة والمروءة والانتصار للمظلوم والشعور كالجسد الواحد ، فأين ذلك كله ؟ لمن تساق الأخبار ؟ على من تعرض الصور ؟ هل تودع من أمة محمد -عليه الصلاة والسلام- ؟ لقد آن أوان إعادة النظر في أشياء مسلمة كعضوية الأمم المتحدة واستقلال الصليب الأحمر ونزاهة المنظمات الدولية التي هي غربية الهوية والمنهج واللسان . ماذا لو كان أهل البوسنة المستهدفون بالإبادة والطرد يهوداً أو نصارى ؟ ماذا لو كان مرتكبو المذابح مسلمين ؟ تصوروا كيف سيكون الرد الغربي - بل ويا للأسف - رد الحكومات في عالمنا الإسلامي المنكوب!
إن المسلمين في عالم اليوم ليس لهم وزن ولا اعتبار ولا تمثيل . إسرائيل تقيم الدنيا ولا تقعدها من أجل جثة يهودي متعفنة منذ حرب لبنان . أمريكا تؤكد للرئيس الروسي يلسن أن إمداده بالمساعدات مشروط بالبحث عن عدد من الأمريكيين يزعم أنهم ما زالوا موجودين في روسيا منذ حرب فيتنام .

العالم كله يحاصر دولة ويجوع شعبها من أجل الاشتباه بأن أثنين منها نسفا طائرة أمريكية . أما مسلمو البوسنة فلا بواكي لهم ، ولم ولن يشفع لهم أنهم أوربيون بيض البشرة ومتسامحون ، وصدق سبحانه : ((ولَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)) . ترى هل سيكتفي المسلمون بنفث الآهات وذرف العبرات على أهل البوسنة والهرسك ، وهل سيتخذون نفس الموقف إذا ما احترقت كوسوفو وامتدت ألسنة اللهيب إلى ألبانيا؟ هل سيبقون متفرجين على استئصال دينهم وانتهاك أعراضهم وتلطيخ شرفهم ؟ إن أقل ما يجب على المسلمين عمله هو تزويد أهل البلقان جميعاً بالسلاح اللازم لكي يثبتوا ويدافعوا عن دينهم ووجودهم . لا بد من البدار قبل أن يردد المسلمون عن البلقان ما قاله شوقي في رثاء أدرنة والتي احتلها الصليبيون البلغار :

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والإسلام

طوي الهلال عن السماء فليتها طــويــت وعـم العالـمين ظلام

أيها المسلمون : لا تأبهوا للشرعية الدولية ، فالإيمان بها شرك !

أيها المسلمون : دافعوا عن دينكم !

الهوامش :

1- الهولوكوست كلمة إنجليزية معناها قتل عدد كبير من الآدميين حرقاً ، واشتهرت بإطلاقها على ما يزعم أنها محرقة ومذبحة قام بها هتلر للقضاء على اليهود الأوربيين . دولة اليهود في فلسطين تستمد (شرعيتها) كثيراً من هذا الحدث ، الذي تؤكد عدد من البحوث والدراسات الغربية أنه لم يحصل .

(الهولوكوست) "أكثر الأحداث التاريخية الاجتماعية ذيوعاً وانتشاراً في القرن العشرين" ، الذي صدر باللغة الإنجليزية وحدها عن هذا الحدث بعد إنشاء دولة إسرائيل في عام 1948 تجاوز 5000 كتاب ، وآلاف المقالات والأفلام . أقسام (دراسات الهولوكوست) انتشرت في الجامعات الكبيرة في أوروبا وأمريكا الشمالية . محاضرات وندوات وحفلات عزاء تقام باستمرار في ذكرى هذا الحدث المزعوم لإبقائه حياً . ادجار برونغمان رئيس الكونجرس اليهودي العالمي قال : "الهولوكوست لا يمكن أن ينتهي أبداً" . إعلام (الهولوكوست) أصبح "تجارة" أو "صناعة كاملة" كما يقول الحبر اليهودي البريطاني جاكو بوفيتز (هـ.ج. سكتل ، ميدل ايست انترناشيونال 8 يوليه 1988) .

2- الغارديان ، 8 اغسطس 1992 .

3- النيويورك تايمز والغارديان ، 7 أغسطس 1992 .

4- نيويوريك ، 10 أغسطس 1992 .

5- نيوزدي والغارديان ، 5 أغسطس 1992 2 .

6- اي.بي.سي ، الأخبار في برنامج (مباح الخير أمريكا) ، 10 أغسطس 1992 .
7- نيوزدي والغارديان ، 5 أغسطس 1992 .
8- الاندبندنت ، 7 أغسطس 1992 .
9- الاندبندنت والغارديان ، 7 أغسطس 1992 .
10- الاندبندنت ، 7 أغسطس 1992 .
11- الغارديان ، 8 أغسطس 1992 .
12- نيوزداي والغارديان ، 4 أغسطس 1992 .
13- أخبار الساعة الواحدة ، تلفزيون بي.بي.سي 1،11 أغسطس 1992 .
14- تايم ، 17 أغسطس 1992 .
15- نيوستيتسمان سوسيتي ، 31 يوليو 1992 .
16- نيوستبتسمان سوسيتي ، 31 يوليو 1992 .
17- الغارديان ، 29 يوليه 1992 ، الإيكومونست ، 1 أغسطس 1992 .
*- كلمة (نجامعكن) وضعت هنا بديلاً عن الكلمة البذيئة التي استعملها الصرب ووردت في تقرير الغارديان .
18- الاندبندنت ، 10 أغسطس 1992 (أوردت الصحيفة اسم المرأة واسم ابنتها) .
19- الاندبندنت ، 10 أغسطس 1992 (أوردت الصحيفة اسمي الفتاتين).
20- نيوزدي والغارديان ، 10 أغسطس 1992 .
21- نيوزويك ، 10 أغسطس 1992 .
22- أخبار الساعة السادسة ، بي.بي.سي 1، 10 أغسطس 1992 .
23- نيوزدي والغارديان ، 10 أغسطس 1992 .
24- الخدمة العالمية لإذاعة بى.بي.سي ، 12 أغسطس 1992 .
25- نيوزويك ، 17 أغسطس 1992 .
26- الإيكونومست ، 1 أغسطس 1992 .
27- الغارديان ، 11 أغسطس 1992 .
28- نيوستيتسمان سوسيتي ، 31 يوليه 1992 .
29- أخبار العالم الليلة ، اي.بي.سي 14 أغسطس 1992 .
30- أخبار العالم الليلة ، اي.بى.سي ، أوائل يوليه 1992 .
31- شبكة سي.ان.ان ، أوائل أغسطس 1992 ، بعض الآراء التي طرحها ماكينزي في مؤتمره الصحفي أدلى بها أيضاً إلى مجلة تايم الصادرة في 17 أغسطس 1992 .
23- الغارديان ، 8 أغسطس 1992 .
33- الصحف ووكالات الأنباء ، أوائل أغسطس 1992 ، انظر مثلاً الغارديان 8 أغسطس ، والإيكونومست ، 1 أغسطس .

34- الاندبندنت ، 7 أغسطس 1992 .
35- أخبار العالم الليلة . اي.بى.سي ، 11 أغسطس 1992 . زعم ماكينزي أيضاً لمجلة تايم ان إحلال السلام في البوسنة والهرسك عملية كبيرة تتطلب مليون جندي (تايم ، 17 أغسطس 1992) .
36- الاندبندنت ، 10 أغسطس 1992 .
37- شبكة سي.ان.ان ، أوائل اغسطس 1992 . الغارديان ذكرت أيضاً أن السفارة الامريكية في بلغراد علمت منذ أوائل يوليه على الأقل بوجود معسكرات الموت هذه ، لكنها لم تتخذ أي إجراء (7 أغسطس 1992).
38- نيوزويك ، 10 أغسطس 1992 ، الاندبندنت ، 7 أغسطس 1992 .
39- الاندبندنت ، 10 أغسطس 1992 .
40- الايكونومست ، 1 أغسطس 1992 .
41- الغارديان ، 10 أغسطس 1992 .
42- نيوزويك ، 10 أغسطس 1992 .
43- الصحف ووكالات الأنباء ، 11،12 أغسطس 1992 .
44- الإيكونومست ، 1 أغسطس 1992 . الاستاذ سيد قطب -رحمه الله- قال في معرض حديثه عن مبادئ العالم الحر: »»والعالم الحر«« يشرد الشعوب من ديارها - على نحو ما فعل في فلسطين - وذلك رغبة منه في إيجاد (لاجئين) يتولى رعايتهم ، والعطف عليهم ، وإقامة الخيام لهم في العراء . فمبادئ العالم الحر تقتضي العطف على المشردين ، الذين لا وطن لهم في هذه الارض المعذبة!" [وردت في (البيان)، العدد 45 ، جمادى الاولى 1412 ، نقلاً عن مجلة الرسالة العدد 1018 ، 5/1/1953) .
45- ماغي أوكين ، الغارديان ، 10 أغسطس 1992 .
46- أخبار الساعة الواحدة ، بي.بي.سي 1 ، 11 أغسطس 1992 .

الرعب والخوف والدموع
في عمليات إجلاء المسلمين عن البوسنة

بقلم : ماجي أوكين(*)
ترجمة : عبد القادر حامد

روزالينا تركض في الطريق، معها جارها سالكونوفيتش يدفع العربة بأمه المقعدة ذات التسعين عاماً ، ووراءهما الجنود الصرب يصرخون ويكادون يمسكون بهم ، تتعثر العربة فتنقلب العجوز المسكينة منها على أرض الطريق ، الجنود يدركونهم صارخين ، فيتقافزون فوق بعضهم يحاولون الهرب ، الحقائب والأكياس والأمتعة تناثرت على الطريق ، الجنود الصرب المتنكرون بالأقنعة وبالقفازات السوداء بدون أصابع يحيطون بهم قائلين : أين (الله)

ربكم الآن؟! سوف (نفعل(1)) بكن كلكن يا مسلمات!! ثم تتابع روزالينا : يجب أن اعترف أنهم فعلوا الفاحشة معنا، شعرت بالعار، كنا جميعاً ممدات على الطريق في الأقذار ، دون أن نستطيع فعل شيء !
بعدئذ جاءت الشاحنات العسكرية ، وحملتهم إلى معتقل "ترنبولي" لكنهم بعد فترة أطلق سراحهم ، وبقي بعض أصدقائهم في المعتقل . في أوائل شهر حزيران (يونيو) أراد صليب خروستك - زوج روزالينا - أن يعود ليستطلع أخبار أصدقائه ، فذهب إلى محطة القطار ليرى إن كان بإمكانه الوصول إلى ذلك المعتقل الذي يبعد عن قريته ثلاثة أميال ، والذي كان يوماً من الأيام مدرسة ابتدائية ، فأصبح سجناً للمسلمين والكروات الذين أصبحوا غير مرغوب فيهم في "جمهورية البوسنة الصربية الجديدة" . ملعب المدرسة محاط بالأسلاك الشائكة ويضم (500) امرأة وطفل محتجزين هناك منذ (27) نيسان (أبريل) ولا يسمح لهيئة الصليب الأحمر بالدخول والاستفسار عن أحوال من بداخله .
إن معسكر "ترنبولي" ، هذا هو الأفضل من بين أربع معتقلات في هذه المنطقة من البوسنة التي أصبح يسيطر عليها الصرب . ونزلاء هذا المعتقل يُطْعَمون، والفلاحون المجاورون يجلبون لهم ما يحتاجون ويبيعونهم.
يقول صليب "خروستك" الذي وجد أن القطار يتجه إلى جهة أخرى : كان القطار مؤلفاً من عشر قاطرات لنقل المواشي، آتياً من معتقل "ترنبولي" ، رأيت وجوه بعض النساء فقط، وأيديهن ممدودة من نوافذ القاطرات ذوات القضبان الحديدية، ويشير الضجيج المتصاعد أن هذه القاطرات مملوءة بالنساء. النساء تبكي وتنتحب، والأطفال يتصارخون : ماء، كأس الماء فقط ! كان يوماً حاراً والقاطرات تحت الشمس ، لا مراحيض هناك! بقوا هناك طوال الليل والأبواب مقفلة عليهم طوال الوقت . ذهبت في الصباح وموظف المحطة يحاول إعطاء قارورة ماء لهن ، لكن الحارس الصربي المسلح قال له : هؤلاء متعصبات علي عزة ، ابتعد عنهن ودعهن يمتن من العطش .
بقيت القاطرات في المحطة حتى الساعة 11.30 من تلك الليلة .
هناك عامل بالسكة طلب من جمعية "محمد" الإسلامية الخيرية في بانيالوكا استقبال النساء والاطفال عند وصولهم البلدة . وحين وصلوا كانوا قد قضوا يومين في القاطرات تحت شمس يوغسلافيا الحادة متكدسين فوق بعضهم ، ولا زالوا على حالهم يتصارخون ، يمدون أيديهم من بين قضبان النوافذ الحديدية متوسلين: اثنان من الاطفال ماتا ، دعونا نخرج جثتيهما . دعونا نخرج ، من فضلكم ماء . حاولت الجمعية الخيرية إحضار بعض قوارير الماء إلى القاطرات . فقال لهم الشرطي : أين تذهب بهذا ، ارجع أدراجك .

وصلت الشاحنات إلى ضواحي زينيتسا في 15 حزيران ، استغرقت الرحلة خـمـسة أيام ، فقد كانت تسير ليلاً فقط ، كان الأموات من الركاب قد بلغ عددهم أحد عشر ، 7 أطفال ، واثنان من الأمهات ، وامرأتان .
هناك (14) ألف مسلم محتجزين في المعتقلات الأربعة الأخرى في الزاوية العليا للبوسنة . في أقصى الجنوب في "براتوناتس" 2000 مسلم محتجزون في ملعب كرة قدم ، وقد أفاد أحد رجال الإغاثة الدولية أنه في ليلة السابع من نيسان وثلاث ليالٍ تلت كان رجال يؤخذون خلف الملعب ويقتلون . وفي تلك الليالي كان هناك إطلاق رصاص مستمر خلف الملعب ، ولم يكن هناك رد على هذا الرصاص . كان الرجال يؤخذون إلى خلف الملعب ولا يعودون ، وقال بأن المسؤولين عن هذه المجازر هم الصرب العاملون تحت إمرة رضوان كاراجيش الذي كان الأسبوع الماضي في لندن .
يؤتى بالرجال المحتجزين في المعتقلات والملاعب من بيوتهم الموجودة على طول الطريق المؤدي إلى بلغراد ، وهي بيوت يسكنها المسلمون والكروات الذين عاشوا منذ أجيال قديمة في القرى والمدن في الممرات التي تربط صربيا بالمناطق البوسنية التي يسيطر عليها الصرب الآن في غرب البوسنة .
في الأسبوعين الماضيين افتتح طريق آخر للباصات يربط بلغراد بهذه المنطقة ، حيث يجلب الصرب من بلادهم إلى القرى والمدن التي طهرت من المسلمين . أول تطهير لهذه المنطقة من المسلمين بدئ به في نيسان ، لم يبق من بيوت المسلمين إلا آثار القصف الشديد بالمدافع والدبابات ، التي لا زالت في القرى الإسلامية ، وكأنها في حالة راحة الآن ، مثلها مثل ذلك الجندي الذي يرتدي بدلة سباحة ويتمشى الآن على الجسر ومعه الكلاشينكوف .
ويحدث الآن تطهير آخر لأماكن بعيدة في هذا الممر من المسلمين ، فالسيارات العسكرية الصربية تملأ الطريق جيئة وذهاباً . والصرب يجوسون خلال البيوت ويفرغونها من المتاع قبل إشعال النار فيها . الصرب في الباصات صامتون ، وعندما مررنا بتلك الأرض الخراب كانوا يطلون من النوافذ ، أفواههم منفرجة قليلاً ، ينظرون إلينا بدهشة ، ما أشد مهارتهم !! كيف أنجزوا إفراغ وتخريب وإحراق آلاف وآلاف من البيوت في هذه المسافة التي لا تقل عن 11 ساعة سفر بالسيارة؟! يقول حارث خروستك - وعمره 17 سنة - والذي قضى أربعة أيام في المعتقل قبل أن يساعده أبو صديقه الصربي - وكان شرطياً - على النجاة وزوده بأوراق الصليب الأحمر: عوملنا معاملة حسنة في المعتقل ، لم يضربونا ، بل وضعونا في الحقل فقط ، كان هناك (5000) منا على مرحاض واحد . وفي اليوم الثاني أخذوا الرجال إلى أومارسكا ، بعض النساء اللاتي كن هناك ليحضرن لهم بعض الطعام قلن : إن الرجال أصبحوا مرضى الآن بالتيفوئيد وتليُّف الكبد . فهم هناك منذ شهرين بلا

غطاء ، ولا ظل ، ولا ماء للغسيل ، ولا مكان صالح للنوم أو الراحة . لم تتمكن هيئة الصليب الأحمر الدولي من زيارة معتقل أومارسكا ، لكن سمح لهم بالدخول إلى "مانياشا" وهو معتقل في المنطقة خاص بالذكور .
منذ أسبوعين أطلق سراح (106) أطفال تحت سن (18)، ورجال فوق (60) سنة ، وتركوا في حديقة مسجد في بلدة بانيالوكا . ،هناك آواهم أهل البلدة وأطعمتهم النساء . وقد كانوا في غاية الضعف والإعياء ، حيث لم يأكلوا أكلاً طبيعياً خلال شهرين حسب ما قالت إحدى النساء التي قالت : أنا أخذت رجلاً عجوزاً وقلت له : أعطني قميصك أغسله لك في الغسالة ، حاولت مساعدته كي يخلعه ، ورأيت آثار الضرب المبرح على بدنه ، وكان القميص ملتصقاً بجسمه .
"بانيالوكا" الواقعة في شمال الجمهورية الصربية الجديدة - التي كانت سابقاً البوسنة - تنتظر أن تطهر من المسلمين أيضاً ، فالصرب في الجبهة لم يعودوا يتكتمون على ما يخططون له ، فقد صرح قائد صربي في منطقة »»فوشا«: لقد طهرنا "فوشا" و "فيشاغراد" من المسلمين والآن سنطهر " كوراجدة " . المسلمون والكروات يعرفون ما هو قادم ، فهنا في "بانيالوكا" البلدة المتطورة ذات الحدائق والمطاعم ، يبدأ منع التجول من الساعة العاشرة مساءً ، هذا مخزن مسلم بنوافذه المحطمة ، وذاك منزل مسلم واجهته قد نخلها الرصاص والقصف نخلاً ، وهناك امرأة ظلت تعمل لمدة (26) عاماً في شركة للاستيراد والتصدير إلى ما قبل شهر قالت : رجعت من الغذاء يوم الجمعة وإذا بهم يسلمونني ورقة قائلين : أنت لم تعملي هنا أبداً ! جميع المسلمين طردوا من العمل في ذلك اليوم ، وهكذا اصبحنا بحاجة إلى أوراق رسمية لنتجول في بلدتنا التي ولدنا فيها !! بعض المسلمين والكروات ينتظرون محاولين ترتيب مبادلة منازل بينهم وبين صرب آخرين في أجزاء أخرى من يوغوسلافيا ، بعض كبار السن قالوا إنهم لن يذهبوا إلى أي مكان . وبعضهم تركوا وراءهم كل شيء ، يغادرون في باصات تغادر ملعب "بورشيف" مرتين في الأسبوع ، ولا مخرج آخر لهم إلا بذلك .
في الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين كان هناك خمس باصات منتظرة خارج ملعب داخلها 350 فرد لا يحملون شيئاً ، أعمار غالبهم بين العشرين والخامسة والثلاثين كان حولهم مئات من الأقارب والأصدقاء ، يلوحون ويشيرون على أقربائهم أن يدخلوا الباصات باسمين ، يغمزون ويشيرون بالإبهام إلى أعلى..
أنور المحامي مع زوجته وطفله الذى عمره خمسة أشهر قرروا أن يغادروا عندما أوقفه شرطي على عتبة المحكمة وأخبره بأن المسلمين لن يسمح لهم بالدخول .

تحركت الباصات الخمسة ببطء . وانكشفت التمثيلية بوضوح ، كل من في الباص انفجر بالبكاء ، الدموع تنهمر بصمت ، الأمهات في الخارج مغطيات وجوههن يهززن رؤوسهن بين أيديهن ، الآباء المشهورون بشدة البأس يبكون مثل الأطفال ، يودعون أبناءهم الذين دفعوا أجرة نقلهم ومعهم أوراق من القيادة العسكرية أنهم يغادرون برغبتهم ، وعن طيب خاطر منهم !
عند الحدود أمرنا كلنا بالنزول من الباص ، التعليمات واضحة : ممنوع حمل أي أدوات كهربائية ، وممنوع حمل ما يساوي أكثر من مئة جنيه من الأمتعة .
الجميع جلوس على الأرض ، وجوه تصبب عرقاً ، شعور تتناثر على جباه مجهدة متعرقة ، (350) لاجئاً لا يريدهم أحد يجلسون على حقائبهم ينتظرون اسماءهم لينادى عليها . الحقائب تفتش ثم يقال لهم : اصعدوا إلى الباصات ، كل على دراجته .
الأمم المتحدة هناك في الجهة الاخرى من الجسر ترحب بهم ، فريق من بورما يفتش الباصات الخمسة عن الأسلحة فلا يجد شيئاً . مراقب من السوق الأوربية يقول : "هؤلاء ليسوا لاجئين ، كلهم عندهم أعمال في النمسا وألمانيا" .
روزاليا خروستك التي هربت من قريتها تدفع العربة بالعجوز ، وتشق طريقها نازلة على الرصيف ، وتقول : لم يبق شيئاً في قريتنا ، احترق كل شيء ، النادي ، المحل ، من فضلك (2)، خزي هذه كتذكار يثبت أنه كانت هناك قرية اسمها كوساراس ، وأن أعمال هتلر لم تكن شيئاً بالمقارنة بما حصل هناك .

الهوامش :

1- كلمة بذيئة في النص الإنكليزي .
*- عن الغارديان ويكلي ، الأسبوع المنتهي في 9/8/1992 .
2- تقول للصحفية .

كيف يحمون أقلياتهم

إعداد: محمد صالح الصالحي
أحمد العبدة

ذكر الراديو الكرواتي : "أن ماتي بوبان رئيس القومية الكرواتية في البوسنة والهرسك وقع مع مجلس ممثلي اليهود البـريطـانـيـين في لندن اتفاقية بتاريخ 29/7/92 وتقضي بالسماح لليهود في سراييفو وعوائلهم وأصدقائهـم المقربين - الذين قد لا يكونون بالضرورة يهوداً - بترك سراييفو آمنين .
وسـتـتـم عـمـلـيـة تنظـيـم خروج الطائفة اليهودية بين ممثليهم في سراييفو والسلطات التي تتحكم في الطرق التي سيسلـكـونـهـا عـنـد خـروجهـم ، وقد يحضر مراقبون تابعون للأمم المتحدة إذا أمكن ذلك ، وقد حدد تاريخ 5/8/92

لأول قافـلـة تخـرج من سراييفو ويتبعها بعد ذلك قوافل أخرى خلال أربعة عشر يوماً ، وعلى جميع الأطراف احترام وقف إطلاق النار خلال خروجهم من سراييفو ، ويجب توفير الأمان للقوافل المغادرة من داخل سراييفو إلى خارجها وحتى المناطق المحيطة . وسيصدر بوبان ، بصفته قائداً لقوات مجلس الدفاع الكرواتي الهرسك - بوسنة ، قراراً لجميع القوات التابعة له بتأمين الطريق للقافلة .
وعند مغادرتهم سراييفو ستتولى مؤسسات عالمية يهودية عملية إطعامهم ومساعدتهم ، ولم يذكر في الاتفاقية أسماء تلك الهيئات التي ستقوم بهذه المسؤولية . وسيطلب المنظمون لهذه القوافل من الأمم المتحدة توفير مراقبين لمرافقتهم لمسافة عشرة أميال بعيداً عن نقاط التسليم خارج سراييفو .
وتؤمن هذه الاتفاقية أيضاً ، حق أي شخص يغادر سراييفو مع إحدى القوافل ، في أن يعود ويبيع ممتلكاته ، وستغلق بيوتهم وتحمى من الاحتلال أو العبث" .
وبالرغم من أن المسلمين في البوسنة-الهرسك يتعرضون لإبادة جماعية وحشية من قبل الصرب الهمجيين ، ويشرد منهم الآلاف خارج أوطانهم ، إلا أن القوى العالمية ، ومعها الأمم المتحدة تتظاهر بأنها لا تستطيع في الوقت الراهن أن تضع حداً لهذه الإبادة . ودول العالم الإسلامي والعربي ليس لديها القدرة والشجاعة للتحرك لإيقاف هذه الوحشية ، أما اليهود فلهم قوة تدعمهم وتعقد لهم اتفاقيات لإخراجهم من مناطق الحرب سالمين .

أيام في أزبكستان

محمد عبد الغفور

عندما حزمنا حقائبنا للسفر إلى أزبكـستان ، كان ذلك بدافع حبنا لذلك الشعب ولاستطلاع أحوال إخوان لنا هناك عتقوا مـن ربقـة الشيوعية البغيضة ، بعد ما يقرب من سبعة عقود قضوها بالذل والمهانة ، وبحرمانهم من أبسط حقوقهم المادية والإنسانية .
ومن خلال رؤيتنا لتلك البلاد في الطائـرة ، بدت وكأنها بساط أخضر موزع بشكل منظم إلى مزارع وإقطاعات . تتخللها الأنهار والقنوات . بلاد شاسعة خصيبة تفصلها بعض السلاسل الجبلية المغطاة بالثلوج . وعلمنا فيما بـعـد بأنـهـا من أغنى الجمهوريات بالزراعة وخاصة القطن والفاكهة .
مـسـاحـة الـبـلاد تقـدر بـ 450.000 كم^2، يحـدهـا مــن الـجـنـوب أفغانستان ومن الشرق طاجكستان ، ومن الجنوب الغربى تركمنستان ومن الشمال كازخـسـتـان، سـكـانـهـا (23) مليون. ونـسـبـة الـمـسـلـمـيـن السنة 90%، وقد دخل الإسلام تلك البلاد في خلافة عثمان - رضي الله عنه - وكان في

مـقـدمــة الجـيـش الـذي غـزا تلك البلاد والأحنف بن قيس - رضي الله عنه -، وفي عام 88 هـ استقر الإسلام هناك بقيادة: قتيبة بن مسلم الباهلي .
عندما حطت بنا الطائرة في مطار (طشقند) عاصمة البلاد ، بدا واضحـاً ما خلفه النظام البائد من تخلف مادي وحضاري . وصدق أحد الإخوة عندما كان يحدثهم فقال : إن كان الغرب قد دمَّر الأخلاق والدين فإنه عمَّر الدنيا ووصل برفاهية الإنسان إلى ما وصل ، على عكس الشيوعية التي : خربت الدين والدنيا .

طشقند المدينة العريقة :

أهم المدن طشقند التي يزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين نسمة وتقع على رافد لنهر سيحون بالقرب من حدود كازاخستان وتمتد خلف المرتفعات الجبلية الالتوائية . ولها أهمية تاريخية كمركز للثقافة الإسلامية ، فضلاً عن أنها ظلت لفترة طويلة خلال العصور الوسطى محطة على طريق التجارة بين الصين والعالم الغربي .
وفيها أماكن تاريخية إسلامية.. ومناظر طبيعية جميلة ، ولاحظت بأن المناطق القديمة تشبه إلى حد كبير المدن الإسلامية الأصيلة ، كمدينة دمشق بأزقتها ودروبها وحاراتها مع اختلاف في الطراز المعماري الذي يتناسب وطبيعة كل بلد ومناخها . فهناك كثير من المعالم المهمة القديمة كالمعاهد والمدارس التي شيدت بطريقة المباني العريقة في بلاد الشام والعراق . فمثلاً الصحن الداخلي والنافورة والحديقة وحولها الغرف وفي صدرها المسجد ومن الأمام المدخل الرئيسي .
وفوجئنا بوجود العشرات من الطلبة والطالبات الذين يتلقون العلم بشغف واهتمام شديدين ، ومنهم أخ شرع بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأزبكية ولم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره . ومن خلال أسئلتي له عن بعض المعاني تبين لي مدى تفهمه للآيات ، وقد ربي هذا الشاب وأمثاله على يد بعض العلماء وعلى نظام الحجرات(1) . وأيضاً فقد حفظ الله دينه في صدور الكثير منهم بواسطة الحكومة الملحدة ، حيث انشأت معهد الاستشراق لدراسة العلوم الإسلامية والعربية . واستفاد الكثير من هذا ، مثلهم كمثل موسى -عليه السلام- ربي في حجر فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً .

صلاة الجمعة في مسجد (تخت باي)

يقع هذا المسجد في المدينة القديمة وطرازه المعماري فريد ورائع ، ويتسع لحوالي (2000) مصل ، وأثناء الصلاة تمتلئ الساحات والأزقة حول المسجد وجلّ الحضور من الشباب ولله الحمد وهذا ما أثلج صدورنا .
يبدأ القوم بالتوافد على المسجد قبل الصلاة بأكثر من ساعتين ، ويجلسون للقراءة ريثما يأتي الشيخ /عابد/ ولكل مسمىً من اسمه نصيب ، فسمة الصلاح والتقوى واضحة على الرجل ذي الأربعين عاماً وهو بحق علم من أعلام

تلك البلاد في العلم والأدب . وقف قبل الصلاة بساعة يلقي درساً يفسر فيه أوائل سورة الصافات من كتاب /في ظلال القرآن/ . والناس متفاعلون كأن على رؤوسهم الطير ولو أننا لا نفهم ما يقول إلا قليلاً ، ولكن يبدو على المصلين أثر الكلمات ووقعها عليهم . فعندما يمر على موقف أو يذكر بحادثة من التاريخ الإسلامي المجيد يكبرون حتى ترتج جنبات المسجد . ويبدو أن الرجل متفهم لواقعه مدرك لما يدور حوله ، ففي نهاية الدرس كان معه أقصوصات من الجرائد المحلية يفندها ويرد الشبه فيها . وبعد انتهاء الدرس جاء دور الأسئلة فأجاب عنها أحد الإخوة ممن كان معنا والخطبة بعدها باللغة العربية لا تتجاوز الثلاث دقائق فقط. وبعد الانتهاء من الصلاة تحلق القوم حولنا ، والكل يريد أن يصافح ويعانق بصفة أننا عرب مسلمون قدمنا من مهد الإسلام . ويعتبر الشاب الذي يحظى بالسلام علينا قد أحرز سبقاً عظيماً وحظي بشيء ثمين ، ويجب أن يهدي لنا أي شيء معه أو أي خدمة يسديها لنا . ويا ليت قومي يعلمون كيف يعامل المسلم في بعض بلاد الإسلام العربية التي ينظر إليه فيها نظرة اشمئزاز ودونية . ولا يدرون بأنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى وبأن أكرمهم عند الله أتقاهم ، وبأن الغنى غنى النفس وبأن المال والدولار والبترول لا يرفع الوضيع كما أن فقدها لا يحط من قدر الكريم .

الأزبك من أكرم الناس

الأزبك كرماء جداً ويحبون الضيف . فما إن يدخل البيت يوضع الطعام أو بالأحرى يكون موضوعاً على الطاولة في كل الأوقات ، ولا يدعون شيئاً عندهم إلا يضعونه أمام الضيف (المكسرات - الزبيب - الحلوى - المرق - الأرز البخاري - الفاكهة...). وعلى العموم فهم شعب كريم السجايا محب للخير . مضياف ، فخور بإسلامه ، قوي الشكيمة .

وقد زرنا الشيخ /محمد خان / في مزرعته في إحدى ضواحي طشقند، وبعد انتهائنا من الزيارة والغداء حمل كيس من الرز ليضعه في السيارة وأتى بحلوى وعسل ليهدينا وبدا لنا أنه لو يستطيع إعطائنا كل شيء لفعل وهو متأثر ويذرف الدموع . ورددنا طلبه برفق وأخذنا منه حمالات للمصاحف وأهديناه بعض المصاحف .

إلى قوقاند

انطقنا إلى تلك المدينة التي تبعد عن العاصمة حوالي (300) كم عبر طريق جبلي وعر وخطير وجميل جداً ، يحاذينا نهر كبير يتدفق في وديان تلك السلسلة الجبلية ليتجمع في الأسفل مشكلاً بحيرة طولها (20) كم . حتى وصلنا إلى ذروة الجبال وكانت بارتفاع ثلاثة آلاف متر . وبعدها وصلنا إلى المدينة التي بدت لنا أكثر محافظة من طشقند حيث الهوية الإسلامية واضحة على معالمها ، وعلى سكانها .

المدرسة الكمالية

ذهبنا صباحاً مع الأخ صادق قارئ - وهو من حفظة كتاب الله ومن علماء ذلك البلد مع صغر سنه - لزيارة المدرسة الكمالية وكانت هذه المدرسة معسكراً للكشافة الشيوعيين واشتراها الإخوة منذ ثلاث سنوات بما يعدل ثلاثة الآف دولار مع العلم بأن مساحتها حوالي 5000م^2 وأدخلوا عليها بعض التحسينات . وتستوعب حالياً (200) طالب بمختلف المراحل الابتدائية والإعدادية يدرسون علوم الشريعة والعقيدة على منهاج أهل السنة ، وفيها جناح للمنامة ، وفيها مطعم كبير مستدير قد حولوا جزء منه إلى مسجد مؤقت ريثما يتمكنوا من بناء مسجد في صدر المدرسة وقد هيئوا له بعض مواد البناء . المدرسة أشبه بحديقة كبيرة فيها الأشجار المثمرة وتحتاج إلي مساعدة لا بأس بها لزيادة سعتها للطلاب . وعدة طلاب طلبوا منا الالتحاق بمعاهد عربية لإتمام تعليمهم العالي .

أخذنا الشيخ صادق إلى مدرسة أخرى سيكون هو مديرها قريباً عند تجهيزها وفور إعدادها لاستقبال الطلاب . وهي أرض كبيرة كثيفة الأشجار فيها بعض المباني ومسبح وصالات رياضية وقد كانت أيضاً معسكراً للشبيبة الشيوعيين واشتراها الأخ بمبلغ 1.550.000 روبل ما يعادل عشرة آلاف دولار منذ عدة شهور .

المسجد الكبير

أدينا صلاة الظهر في المسجد الكبير في المدينة وهو مسجد رائع التصميم قد أنشئ في عام 1830 م على الطراز الهندي بأعمدته الخشبية المزخرفة الجميلة وبساحته الواسعة المزدانة بالأشجار الكبيرة وبأجنحته الصيفية والشتوية وبغرفه الكثيرة المتعددة النشاطات ويتسع لحوالي خمسة آلاف مصل .

وقد ألقيت فيهم موعظة على هيئة خطبة وكان يترجمها الشيخ محمد رجب إمام المسجد ، فكان ينقل الفكرة بأمانة واستيعاب ، لاحظت هذا من خلال تأثر المصلين وردود فعلهم وتكبيرهم . ومن جملة ما قلت لهم : إن آباءكم وسلفكم الصالح قد حفظ الله بهم دينه في يوم من الأيام وقد خدموا هذا الإسلام العظيم ردحاً من الزمن ، فالبخاري والترمذي ومسلم وكبار علمائنا من هذه البلاد ، فكونوا خير خلف لخير سلف بعد أن منّ الله عليكم بانعتاقكم من ربقة الحكم الجائر الملحد الكافر الذي قال عنه نبيهم لينين : سيأتي العام الألف الذي تحتفل فيه الأجيال بميلاد الشيوعية ؛ والحمد لله لم يأت العام الثمانون على نكبة الدين والدنيا (الشيوعية) .

وكنت قد سمعت عن أخبار تعصبهم المذهبي ، فركزت في الكلمة على هذه الناحية ، فالمعركة يجب أن تكون مع أعداء الله وأولياء الشيطان ، لا بين المسلمين فكلنا إخوة فمن يجهر بآمين أو يسر بها ، من يرفع يديه أو يخفضها

، من يحرك إصبعه أو يثبتها ، كلنا إخوة وعلينا أن لا نترك المجال لأولئك الذين يحاولون أن يبثوا الفرقة فيكم من خلال هذه الجزئيات التي ينفذون من خلالها (...) والحمد لله كان لهذه الكلمة أثر طيب في نفوسهم وطلبوا منا أن نزورهم باستمرار .

الشيخ تاج الدين :

تعرفنا على هذا الأخ الفاضل في العاصمة من خلال المسجد ، يجيد اللغة العربية ويعمل ليل نهار في الدعوة وتربية الشباب التربية الصحيحة وعلى مذهب أهل السنة ، ويطلق عليهم - شباب أهل السنة - ويقوم حالياً بترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأزبكية ، والمشكلة عنده أنه يقابل التعصب المذهبي عند الآخرين بتطرف في تطبيق السنة كأن يمسك بأعقاب أرجل المصلين لتسويتها للصلاة . وطبعاً حاولنا إقناعه بعدم التشدد وبأن يفتح صدره للآخرين وليكون أسوة حسنة ومثالاً يحتذى ، ويصف دائرة الإفتاء بالطواغيت مع أنه يوجد بعض الخيرين فيها ، ورتبنا معه رحلة إلى الجبل علنا نستطيع أن نتغلب على بعض التصرفات التي عنده لأنه يحتك بالشباب عن قرب ، استأجرنا باصاً كبيراً وركب فيه سبعون شاباً وركبنا مع أخينا أبي عبد الله ميممين شطر الجبل والنهر . وكان هناك ولله الحمد برنامج للموعظة وللعلم وللرياضة وللسباحة وللمسابقات وتوزيع جوائز الفائزين ، وطبعاً الطعام (الرز البخاري) وكان يوماً لا ينسى والحمد لله . وكان لهذه الرحلة أطيب الأثر في نفوسهم ، فحين ودعناهم ذرفت دموعهم وتعلقوا بنا ووعدونا بألا نأتي في المرة القادمة إلا وقد تعلموا اللغة العربية ، حيث ركزنا في حديثنا على أهمية تعلم اللغة لفهم كتاب الله وهذا في الحقيقة يجب أن يكون من أولويات الدعاة هناك .

ترجمة القران :

* هناك بعض الجهود المشكورة في هذه المضمار ، دكتور سوري مع زوجته الروسية بدؤوا بمشروع جيد وهو الترجمة وقد انتهيا من ترجمة عشرين جزءاً وقد جمع بعض المال من الإمارات لهذا المشروع . مع العلم أن الناس هناك بحاجة إلى ترجمة كتب عن العقيدة ، وعن طبيعة المذاهب ، وعن حرمة الخمور والخنزير ومضارها ، وعن مؤامرات اليهود وعن زيف بعض الفرق الضالة .

* هناك جهد كبير يقوم به /حزب النهضة/ الذي يمتد إلى جميع الجمهوريات وإلى روسيا نفسها ولكن البعض ينكر عليهم اهتمامهم بالتجميع قبل التعليم وباستعجالهم لقطف الثمرة كما هو واقع الجماعات عندنا وبأنهم يستنفذون طاقاتهم بالأمور الحزبية وهذا مثاله ما حدث في طاجكستان . وعندما التقينا مع الأخ /عبد الله جان/ سكرتير حزب النهضة نفى هذا وهو مستبشر كثيراً حتى في طاجكستان وقال بأنهم قتلوا كثيراً من الشيوعيين . وعلى العموم

يجب أن تنصب الجهود على شيء واحد هناك ألا وهو محاربة الجهل فهو العدو الأكبر للمسلمين من إنشاء للمدارس وإرسال للدعاة وترجمة الكتب فالأرض خصبة والناس متعطشون للإسلام .

دور تركيا :

* تقوم تركيا بلعب دور خطير جداً في تلك البلاد ويبدو أنها في مهمة من قطب النظام العالمي الجديد لتقطع الطريق - على حد زعمهم - على الأصولية القادمة من أفغانستان والبلاد الأخرى . فالرئيس الحالي /كريموف/ يدعي على التلفاز بأنه سيطبق الإسلام على طريقة/مصطفى أتاتورك/ وبأنه شخصية محببة إلى نفسه ويدعي بأنه رئيس الأمة الإسلامية (بعد أن كان شيوعياً طبعاً) .

* قناة تلفزيونية تركية تبث سمومها ليل نهار وبشكل متواصل من أفلام خليعة ماجنة أو أفكار خبيثة ، بحيث لا توجد هذه العروض حتى في دول الكفر ، وتبث قناة أيضاً إلى روسيا بـ /أفلام جنسية/ وحتى أن التلفزيون المحلي يعتبر محافظاً جداً أمام القناة التركية الخبيثة . كل هذا ليقولوا للناس : هذا هو الاسلام ولا حرج فيه من هذا .

* هناك شركات أمريكية كثيرة تفتح باسم شركات وأسماء تركية لأن هذه الشركات (التركية) لها ميزات كثيرة ويكفي المرء أن يثبت أنه تركي حتى يأخذ ما يريد .

* واليهود يحاولون كسب الوقت لتثبيت أرجلهم اقتصادياً ويقومون بشراء الأملاك العامة ، والنصارى يوزعون أناجيلهم ويقرعون أجراسهم . والفرصة الأخيرة للمسلمين الآن ليدخلوا البلد بقوة قبل أن يفوتهم القطار ويلحقوا بركب غيرهم من البلاد التي تدعي الإسلام .

* الأسعار زهيدة والعروض كثيرة لإقامة مشاريع استثمارية جيدة بالإضافة إلى ما لها من تأثير على الدعوة هناك ..

* لم تمح بعد جميع آثار الشيوعية من البلد فما زالت صور الكاهن الأكبر لينين في بعض الشوارع أو الميادين وما زال شعر المطرقة والمنجل منتشراً بين الناس حتى إن بعض المصلين الذين حضروا لنا مواعظ كانوا يحملون على صدورهم نياشين الشيوعية وشعارها . ولكن بزيادة الوعي بعونه تعالى ستكون هذه الرموز إلى الزوال بشكل نهائي بعد مدة وبفضل الدعاة المخلصين إن شاء الله .

1- ورد تعريف لنظام الحجرات في العدد (51) بمقابلة مع الشيخ عبد الولي .

منتدى القراء

فقط تغيرت الراية !

محمد أحمد عسيري

صراعنا الطويل والمرير الذي كتبه الله على أمـتنا مع اليهود يتغير من زمن لآخر ، ويتبدل من مرحلة لأخرى . وهذا التغير من جهة الـخـصـم يـكـون حـسـب ما يراه أجدى لتحقيق مصالحه وآماله . والمرحلة التي تكابدها أمتنا اليوم مع الخصم الخـبـيـث الـمتقلب الألوان "الحـربـاء" كـانـت له رايتان متباينتان ، الأولى منها كانت راية الحرب المعلنة والـعـداوة الظاهرة لاغـتـصاب الأرض المقدسة مع غيرها لاستكمال المخطط القديم والمرسوم كما ورد في التوراة المحرفة .
فتحت هذه الراية حققوا مكاسب كبيرة وعظيمة، فقد استطاعوا أن يحتلوا القدس الشريف الذي طالما كانوا يحلمون في الوصول إليه ليكون عـاصمة الدولة اليهودية "أورشليم" ، ومن قـبلـه وبعده الأراضي المتبقية من فلسطين وبعض المساحات العربية، واسـتـطـاعــوا كـذلك التشبث بتراب هـذه الأرض عن طـريق نفوذهم السياسي والديني في كثير من الدول الغربية فـي مـواقف تلك الدول من الاحتلال ومن الانتهاكات الإنسانية خلال حقبة من الـزمــن، وايضاً عن طـريـق عـمـلـيـة الاستـيـطـان التي استهدفت اجتذاب اليهود المشتتين في أنحاء المعمورة . فبهذا استطاعوا عبر فترة لـيـسـت بالـيـسـيـرة مسخ ما في رؤوس كثير من رموز السياسة العربية عن تاريخ العرب الفلسطينيين أصحاب الأرض وتوليفهم على أن الوضع الطبيعي هو الوجود اليهودي . إلى أن اقتنعت تلك الرمــوز بعدم جدوى التفكير في الرد على الاحتلال فضلاً عن إخراجهم من الأرض الفلسطينية . ومما يزيد الطين بلة انشغال تلك الرموز بمصالحها الشخصية خشية أن يصيبها طائف منهم .
عندئذ برزت الراية الثانية ألا وهي راية السلام الملطخة بالدماء . ولم يكن أصحاب هذه الراية ليرفعوها بأنفسهم لأنهم أحسوا بأن لهم القوة ولهم الظفر في المنطقة ، وعندئذ رفعها ساسة الغرب على شكل دعوة منهم لكلا الطرفين المتصارعين إلى إنهاء الصراع والعيش بسلام . وهذا ليس بمستغرب من الغرب المسيحي فقد كانت لهم اليد الأولى في كل ما حققته إسرائيل من انتصارات سياسية وإقليمية . فكانوا بالنسبة لإسرائيل يمثلون الجنود المخلصين والأوفياء الذين لا يرون في طاعتها إلا بقاءهم وسعادتهم .
إن القضية لمن وعاها وأدرك فحواها ليست قضية سلام كما يزعمون . بل هي عمل دؤوب ومتواصل لتحقيق الأحلام اليهودية التي أخذت شكلاً آخر ورفعت راية أخرى لتغوي بها عقول السذج من العرب والمسلمين الذين يتطلعون إلى واقع تجتمع فيه النقائض . ولكن هل ستدرك تلك الرموز أنها تمثل آراء شخصية نابعة من خمود في العزيمة والهمة وإيثار للدعة والراحة وقبول بالذل والمهانة .

إن على تلك الرموز أن تتعظ بما يحدث في العالم من تغيرات نتيجة الاستبداد بالآراء ، وتطويع الشعوب بالحديد والنار لرغبات الأفراد .

منتدى القراء

من هموم الدعوة

محمد عبد الله العتيق

تمثل إعادة الأمة إلى الصياغة الربانيـة الـمـتمثلة في القرون الثلاثة الفاضلة ملخصاً جامعاً لمهمة الدعوة التي يحملها الدعاة في عالمنا الحـاضـر . وتـبـدو أولـى خـطـوات هذه العملية الـفاعلة على أنها بث روح المسئولية في مجموع الأمة ، فرداً فرداً وانتزاع روح الاتـكـالـيـة وعــدم المـبالاة في نفسية أفرادها . بعد أن يتم النجاح في تلك الخطوة ، تبدأ مرحلة العمل المباشر لتنفـيـذ ذلـك الـمشروع الذي نجح الدعاة في زرعه في نفوس الأفراد وإنزاله إلى خير العمل الواقعي المحسوس ، حتى يتحول الفكر إلى عمل والأمنية إلى واقع ملموس .
وإن أهل الباطل لن يقابلوا ذلك المشروع بالسكون والركون لأنها بالنسبة إلى الفريقين معركة وجود أو عدم سيادة أو تبعية ، ومن هنا ، زرعت الأشواك في الطريق ، وهذه سنة الله في خلقه ما بقي الحق والباطل يتصارعان .
على أن مؤيد هذه الـدعــوة وناصـرهــا الله - عـز وجـل- لم يترك أحباءه ودعاته مجردي السلاح في وجه تلك العوائق، فدلهم على ما يتقوون به في معركتهم وبين لهم أسباب النصر في حربهم مع الباطل ، وذلك ما يمكن أن نسميه زاد الداعية . إنه زاد يماثل الزاد المادي الذي يتزود به الإنسان ومتى ما توقف عنه مات، وكذلك الزاد المعنوي للداعية ، إن تركه فسيموت حتماً ، وموت الداعية إنما هو انتكاسة أو فـشـل مـشـروع دعوته . ولسوف أقصر الكلام هنا عن زاد واحد فقط ذلك الزاد ، وأعنى به الصبر .
إن هذا الزاد لازمة من لوازم مسيرة الدعوة في جميع مراحلها فهو أولاً : صبر عن شهوات النفس ورغباتها ، ضعفها ونقصها ثم عجلتها ومللها .
وهو ثانياً صبر على شهوات الناس وشبهاتهم وضعفهم وجهلهم وغرورهم وانحراف طبائعهم والتوائهم .
وهو صبر على انتفاش الباطل ، ووقاحة الطغيان وخذلان أهل الحق للحق .
وهو صبر على قلة الناصر وضعف المعين ومحنة الغربة وطول الطريق .
وهو صبر على مرارة الجهاد وانفعالات الألم والضيق والحنق واليأس والقنوط .
وأخيراً ، هو صبر على ضبط النفس ساعة النصر وإبقاء الصلة مع الله ، ورد الأمر إليه في خشوع وخضوع.

ولئن هال الداعية هذا الحشد العريض من المشاق التي تستوجب الصبر ، فإن مما يعزيه ويشد على قلبه علمه بأن الله معه فهو تعالى مع الصابرين : يعينهم ويؤيدهم ، ويذيقهم من لذة الإيمان والاتصال به ، ما يغسل هم الدعوة وآلامها من القلب .
وإذا كان أهل الباطل يصبرون على باطلهم والدعوة إليه ، بل الموت في سبيله ، فأهل الحق ودعاته أجدر وأحق بهذا الأمر ((وتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ)) .

منتدى القراء

الحكمة ما هي !؟

د. محمد عابد باخطمه

من أسباب اختلاط المفاهيم أنه اختلط مفهوم الشجاعة بالتهور ومفهوم الجبن بالتأني، الكرام بالتبذير، المداهنة والمجاملة والصراحة والوقاحة..
وسأتكلم هنا عن مفهوم الحكمة.
فقد أصبح مفهوم الحكمة في أكثر الأحيان هو اتباع أسلوب اللين من كل أمر ومسألة وعدم الاعتراض قولاً أو عملاً على أي خطأ ، بل كثيراً ما يصبح هذا المفهوم هو سايده الخطأ وهذا يعني أن الحكيم هو من يرضي الجميع .
ولشرح المعنى عملياً لنفترض أن حقيراً ما تهجم على صحابة -رضى الله عنهم- أو حشر أنفه في أمر من الأمور الخلافية في الشريعة ، وهو لا يفقه شيئاً فإن الحكمة - كما يفهمها البعض - تقتضي عدم فتح جبهة معه حتى لا يظن أننا كمسلمين لا نقبل الخلاف في الرأي .
والحكمة بالمفهوم الاصطلاحي العدل والعلم كما جاء في القاموس المحيط ، أي أن العرب لم تعرف الحكمة بمعنى اللين ، ومجاراة الأمر الواقع .
أما الحكمة في القرآن الكريم فقد جاء في سورة [ص 20] ، قال تعالى عن داود ((وشَدَدْنَا مُلْكَهُ وآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وفَصْلَ الخِطَابِ)) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : قال مجاهد في معنى قوله تعالى آتيناه الحكمة يعني الفهم والعقل والفطنة .
وفي سورة النحل [125] : ((ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) . قال ابن كثير : »يقول تعالى آمراً رسوله أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة ، قال ابن جرير : وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة أي بما فيه من الزواجر والوقائع ، ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى« وأقول إن الآية أمرت بالدعوة ولم تأمر بالسكوت ولم تقل أرضهم بالتي هي أحسن ، بل قالت : جادلهم بالتي هي

أحسن ، أي إثبات مبدأ المقارعة بالحجة بالأسلوب المنهجي الرزين البعيد عن التشنج .

الحكمة من السنة النبوية :

عن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »لا حسد إلا من اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته من الحق وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها" . قال ابن حجر : إن المراد بالحكمة القرآن كما في حديث ابن عمر ، أو أعم من ذلك أو ضابطها ما منع من الجهل وزجر عن القبح . ومن كتاب فضائل الصحابة ، عن ابن عباس قال : »ضمنى النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى صدره وقال : اللهم علمه الحكمة« .

ومن كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر ، من حديث ابن كعب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : »إن من الشعر كلمة« ، أي قولاً صادقاً مطابقاً للحق وقيل أصل الحكمة المنع فالمعنى أن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من السفه .

أمثلة من الحكماء :

1- الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

كان - صلى الله عليه وسلم - أحكم البشر وهو أرحمهم . انظر إليه وهو يأمر من نقر صلاته أن يعيدها مرة واثنتين ، وانظر إليه يترك الحسين يرتقي ظهره في الصلاة ويزجره عن الأكل من تمر الصدقة ، انظر إليه يوقع صلح الحديبية ، ثم انظر إليه يحل دم من هجا المسلمين ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ، انظر إليه وهو يقول : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، إذن فالحكمة لين في مكان اللين وشدة في موضع الشدة.

وبعد، لعله أصبح من الواضح أن الحكمة لا تعني اللين في كل شيء وأن مجرد استخدام الشدة لا يعني الخروج عن الحكمة . الحكمة هي وضع الأمر في موضعه ، والشدة لا تعني الضرب والقتل وسفك الدماء ، الشدة هي الثبات على الحق والدفاع عنه باللسان أو بالقلم أو حتى بالسيف إن لزم الأمر ، والوقح الذي يتطاول على أحكام الشريعة عندما لا يستجيب للنصح لا بد أن يوقف عند حده ، والحكمة ليست السكوت عليه ناهيك عن تشجيعه والتماس الأعذار له .

إن الضابط هو خشية الله -عز وجل- ، فلا نستخدم الشدة في موضع اللين فننفر ، أو نستخدم اللين في موضع الشدة فيطغى الظالم .

الدعاء وصلاح الأبناء

عبد الله بن سريِّع

إني رأيت الناس في مسألة طـلـب صـلاح الأولاد مــع فـعـل الأسباب التي تؤدي بإذن الله وتوفيقه إلى ذلك ، على طرفي نقيض ، فتجد منهم من يفـعـل

كـثـيراً من الأسباب ؛ ويقدم جهداً طيباً في طلب الهداية لأولاده ؛ لكنه يهمل الدعاء لهم بالـهـداية والتوفـيـق ، وفـي المقابل فإنك تجد منهم من يهمل جميع الأسباب المؤدية لهدايتهم - بـعـد توفيق الله تعالى - ويقتصر على الدعاء لهم بالهداية ، ومع أن الدعاء عامل مهم جداً في هــذه الـمسألة إلا أننا يجب أن نتذكر قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - »اعقلها وتوكل«(1) ، فلا بد إذن من اعتبار أن الدعاء لهم من أسباب هدايتهم دون الاقتصار عليه .
والـعـجـيـب في الأمر أنك قل ما تسمع أو تقرأ للذين يتحدثون أو يكتبون في موضوع تربية الأبناء تركيزاً على مسألة الدعاء لهم بالهداية ، ومعلوم أن الإسلام قد أعطى جانب الدعاء للأولاد وصـلاحهم اهتماماً خاصاً ورغّب في ذلك وحث عليه ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قـال رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - : »ثلاث دعوات يستجاب لهن لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد لولده«(2) . فالدعاء - بشروطه - عامل مهم من عوامل صلاح الأبناء وهدايتهم ، وإن صلاح الأبناء ينفع الآباء في حياتهم وبعد مماتهم بإذن الله . عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : »إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له«(3) .

الهوامش :

1- انظر صحيح سنن الترمذي 2044 للألباني .
2- انظر صحيح سنن بن ماجه 3115 وسلسلة الأحاديث الصحيحة 1797 كلاهما للألباني .
3- رواه مسلم في كتاب الوصية 14 .

من المسؤول عن هذا الفساد ؟

محمد الحمد أبو عزّام

كثرت المخالفات الشرعـيـة والأخلاقية في شتى أنحاء العالم الإسلامي ، هرم عليها الكبير وشب عليها الصغير وهي تـعـد فساداً عريضاً ما يلبث أن ينمو شيئاً فشيئاً تموله أيدٍ عميلة خبيثة ، أكل الحقد والحسد قلوبها فأصبح عطاؤها خبيثاً .
ولـو حـاولـنـا معـرفـة هذا الفساد وتلمسه لنصف له العلاج لطال بنا المقام .
وفي مقدمة هذا الفساد والانحلال مـا تمـارسـه أجهـزة الإعـلام عـلـى مخـتـلـف أنواعها من قلب للحقائق وتصوير سفلة الأمة وأصحاب الأفكار الهدامة على أنهم المفكرون والمرشدون للأمة!! ((كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إن يَقُولُونَ إلاَّ كَذِباً))

فعلى أثر هذا نشأ جيل مشوه الأفكار ، مطموس البصيرة ، مما يجعل من الفنانين والرياضيين قدوة يحاول كل جهده أن يحاكيهم في كل شيء!! أما أسماؤهم وأسماء آبائهم فقد حفظت في ذاكرته في حين لا يكاد يعرف من هم الخلفاء الراشدون الأربعة !؟ فهذا نموذج مما عمله الإعلام في الأمة فمسح عقول أبنائها من الفضائل وأحل محلها الرذائل...

بريد القراء

*** رسالة من المحرر :**

يرسل إلينا الكثير من الإخوة القراء بمشاركات وخواطر ومقالات كي تنشر في مجلة البيان، ونحن نحرص على تشجيع القراء قدر الإمكان ، ونحثهم على الاستمرار في الكتابة، ولكن كثيراً من هذه المحاولات والمشاركات قد لا تكون بالمستوى المطلوب إما شكلاً وإما مضموناً وإما من الناحيتين ، أما المناسب من ذلك فننشره ، وغير المناسب نستبعده ، لذلك نرجو ممن يبعث إلينا بشيء من ذلك أن ينتظر عدداً أو عددين فإن رأى بأن شيئاً قد أرسل به قد نشر ؛ وإلا فعدم النشر يعني أن ما أرسل به غير مناسب نشره ، ونرجو أن لا يصده ذلك عن مواصلة مراسلتنا وإعادة المحاولة .

*** من الأخ أبي عبد المجيد جاءتنا هذه الكلمة :**

»أناشد إخواني المسلمين في جميع أنحاء العالم أن لا يتركوا أطفالنا في البوسنة-الهرسك بين أيدي النصارى، وأن يطالبوا بتربيتهم تربية إسلامية ، ولدى البلاد الإسلامية وإذا أمكن أن يوزعوا على المسلمين في جميع أنحاء العالم حتى ينشأوا في بيئة إسلامية . وأن يفتح المجال لمن أراد أن يتكفل بيتيم أو أكثر. إنه نداء لكل مسلم، يجب أن نبادر قبل أن يبادر النصارى لتنصيرهم في ألمانيا أو أي دولة أخرى« .

*** من الأخ جدوى عبد الكريم وصلتنا هذه الكلمة**

»إن الاهتمام بالمسلمين وبقضاياهم الشائكة ليس مقصوراً على ما يجري لهم ولا على الاهتمام بالجانب المعنوي، بل لا بد من الاهتمام بالجانب المادي، وليت المسلمين في أنحاء المعمورة يعلمون أن هناك إخواناً لهم لا يجدون ما يأكلون أو يلبسون...

*** الإخوة : ناجي ناصر سالم وشريف قاسم**

نشكر لكم رسائلكم وما حوته من مشاعر رقيقة وملاحظات مفيدة .

*** الأخ فهد العدل**

أرسل توجيهات نافعة لخطيب الجمعة ومقالاً حول الصبر وعاقبته . وتسرنا محاولاتك للكتابة، لكن حاول أن تعتمد على نفسك .

*** الأخ عثمان الخنين**

جزاك الله خيراً على كثرة رسائلك للمجلة وملاحظاتك المفيدة. أما بالنسبة لمقاليك ففيهما الكثير من الفوائد .

*** الأخ عبد الكريم الشريدة**

نشكر لك رسالتك ومحاولاتك الكتابة وحاول أن تعتمد على نفسك وفقك الله لما يحبه ويرضاه .

*** الأخ أحمد الصقعوب**

نشكر لك خواطرك الجميلة وروحك العالية وتقبلك لعدم نشر المقالة - في حال عدم صلاحيتها للنشر - نفع الله بك وبإخوانك المسلمين .

*** الأخت أم قتيبة**

الموضوع الذي أرسلت قد كثر الكلام حوله والتأليف فيه، ولا نرى داعياً لتكرار الكلام فيه وجزاك الله خيراً .

*** تعقيب من الأخ الشاعر محمود مفلح**

قرأت في العدد (51) مقالاً للأخ الأستاذ عبد الله محمد العسكر ص 41 بعنوان »الأدب الذي نطمح إليه« واستشهد الأخ في ختام مقاله بتسعة أبيات من الشعر مطلعها :

وقصائد مثل العرائس مهرها غال وأخرى ليس فيها مطمع

ولم يذكر اسم صاحب هذه الأبيات . والحقيقة أن هذه الأبيات لي من قصيدة »هل يستوي« من ديواني »إنها الصحوة ، إنها الصحوة" وشكراً لكم ...

*** من الأخ يوسف بن عبد الله وصلتنا قصيدة بعنوان "الداعية الصغير" نختار منها هذه الأبيات :**

رأيت صغيراً جوار الكتب جميل المحيا رفيع الأدب
دؤوب القراءة ظني به على الوقت يخشى قصور الطلب
فقلت: السلام على من أرى شموخ الأوائل منه اقترب
توقف ثم ببعض الكلام أفاد بقول شبيه الذهب
وقال: سلام إليك الكتاب إليك العلوم قبل العطب
فلا بد من أن نقود الأمم ونسعى لنيل أعالي الرتب
ونحمي العقيدة من مارق ونعلي الشريعة فوق الحسب
فقلت سريعاً وقد هالني نضيج العقول بحجم العلب
ألسنا دعاة إلى الجنة ألسنا هداة لخير القرب
أنخشى نخوض بدرب الجهاد غمار المنايا لنيل الأرب
فنغفل هذا يعيث فساداً وذلك يكيد لخلط النسب
فينسى الولاء ويبكي البراء ونمضي بشرع مجرد لقب
وتلغى الحدود ويعصى الإله ويبدو الفؤاد كبيت خرب
ويبقى الجهاد بدعوى السلام وزعم الوئام حبيس الكتب
فكيف نعد شباباً أبياً قوي العزيمة عند الخُطُب

دور المنزل
في تربية الطفل المسلم

أم عمر التويجري

إننا ونحن بصدد البحث في هذا الـمـوضوع لا بد لنا من الحديث عن الأساس والنواة الأولى المسؤولة عن ذلك الطفل ، ألا وهي الأسـرة وتكـوينها . إن من أراد بناء أسرة إسلامية ينشأ عنها جيل صالح عليه أن يُعني قبل ذلك باخـتـيـار الـزوجــة ذات الـديــن والخلق الكريم والمنبت الحسن حتى تسري إلى ذلك الجيل عناصر الخير وصفات الكمال، قـال - عـلـيـه الـصـلاة والـسـلام- :
"تنكح المرأة لأربع لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين، تربت يداك" متفق عليه . لذلك فعلى الرجل أن لا يكون همه الاقتران بامرأة ذات جمــال، درن مـبـالاة بدينها وأخلاقها، فإن ذلك منغص للحياة هادم لها، مـسـبـب للفراق .
وبالـمـقـابـل فإن الشريعة الغراء عندما دعت الرجل لاختيار الزوجة الصالحة فإنها حثت الآباء على حـسـن اختيار الرجل الكفء لبناتهم صاحب الدين والخلق القويم القادر على حمل الأمانة وصيانة المرأة .
لذلك فإن حسن اختيار الأم والأب ينشأ عنه صلاح ذلك الجيل الناشئ عن تلك الأسرة ، فكل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما ورد في الحديث .

*** مرحلة الطفولة مرحلة إعداد وتدريب وتربية ومن أجل ذلك حثت الشريعة الغراء على أمور منها :**

1- تعليم الأطفال كل ما يعود عليهم بالنفع في الدين والدنيا وتلقينهم الشهادتين .
2- غرس محبة الله ورسوله وصحابته في قلب الطفل .
3- تحفيظ القرآن سورة سورة وما تيسر من الحديث .
4- أمره بالصلاة عند بلوغه سبع سنين .
5- تعليمه الطهارة والوضوء ، وتعويده على الصدق والأمانة والبر والصلة .
6- إبعاده عن مجالس السوء واللهو والمنكرات .
7- تعليمه الأدب الحسن (ما نحل والد ولده خير من أدب حسن) .
8- تجنيبه الخمر والمسكرات وما يفسد الدين والبدن والأخلاق .
9- تدريبه على الشجاعة والإقدام والاخلاص في العمل .
10- تدريسه حياة العظماء والصالحين والأبرار ليقتدي بهم .

*** أخطاء نرتكبها في معاملة الأطفال :**

1- سوء فهم نية الطفل ، وتجاهل عواطفه ، فكثيراً ما نقسو عليه ونعاقبه بالضرب والازدراء والتحقير . كما أنه ليس كل مخالفة للوالدين يرتكبها الطفل عنوان الشقاوة ، بل هي على الأغلب عنوان نشاط وحيوية ، ومظهر لنمو الشخصية لديه .
2- من الأخطاء تخويفه بالغول والعفاريت ليهدأ أو لينام .
3- الاختلاط بين الجنسين ، والتساهل في مشاهدة التمثيليات ، وأفلام القتل والجريمة ، والانحراف ، وتصفح المجلات الخليعة .

*** بعض الأمور النافعة في تربية الطفل :**

1- القدوة الحسنة : وذلك لأن الطفل يقلد من حوله لا سيما الأم والأب والأقارب ، لذا لا بد من إيجاد القدوة الحسنة الملتزمة بالخلق الرفيع والألفاظ الطيبة .
2- الرفق : معاملة الطفل لا بد لها من عطف ورحمة به كما قال -عليه الصلاة والسلام- للأقرع بن جالس لما أخبر أنه لا يقبل أحداً حتى أولاده : »من لا يرحم لا يُرحم«
3- العدل : إن تفضيل الأبناء بعضهم على بعض يزرع العداوة والبغضاء ، وعلى الأبوين العدل بينهم في كل شيء ، لأنه أدعى إلى المودة والتآلف .

*** تعليم الطفل المسلم :**

قال تعالى : ((عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)) ، وقال تعالى : ((الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ)) .
وهذه بعض الأمور التي يجب مراعاتها في تعليم الطفل :
1- تعليم الطفل الأكل باليمين والتسمية عند الأكل والدخول والخروج .
2- تعليمه الاستعانة بالله وحده وتشجيعه على الصلاة مع الجماعة .
3- تعويده النظافة في الملبس والمسكن .
4- التفريق في اللباس بين الذكر والأنثى ، وعدم تشبه كل منهما بالآخر .
5- تعليم البنت على الستر في الملبس منذ الصغر والحجاب عند البلوغ .
6- تعليم الولد الرماية والفروسية والسباحة .
7- الاهتمام بتنمية جانب الذكاء لدى الطفل بالبحث والمناظرة .
8- عدم إنهاكه بالتعليم النظري المتواصل حتى لا يمل ويتركه .
هذا وأرجو أن أكون قد وفقت في عرض سريع مختصر عن دور المنزل في تربية الطفل المسلم حيث إن الموضوع لا يمكن الإلمام به من جميع جوانبه في مقالة قصيرة كهذه .
والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

المراجع :

1- الطفل في الشريعة الإسلامية / د. محمد أحمد الصالح .
2- الطفل المثالي في الإسلام / عبد الغني الخطيب .

3- كيف نربي أولادنا / الشيخ محمد جميل زينو .

النشاطات الصيفية للمنتدى الإسلامي

(1) الملتقى الثقافي الثالث عشر :

نظم المنتدى الإسلامي يومي السبت والأحد الموافق 2-3 صفر لعام 1413 هـ الملتقى الثقافي الثالث عشر ، في مركز المؤتمرات التابع للمؤسسة الإسلامية في مدينة ليستر .

شارك في الملتقى كل من :

* الدكتور جعفر شيخ إدريس - مركز الدراسات العربية والإسلامية بأمريكا .
* الشيخ عبد المجيد الشاذلي .
* الدكتور محمد مطر الزهراني - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
* الدكتور محمد صلاح الصاوي - مركز بحوث تطبيق الشريعة في باكستان .

وقد تناول الملتقى الموضوعات التالية :

1- موقف الفرد المسلم من الحكومات المعاصرة .
2- التعاون بين المسلمين : تأصيل وترشيد .
3- الهوية الإسلامية : وظاهرة الاغتراب .
4- دور المرأة في العمل للإسلام .

وختم الملتقى بلقاء مفتوح بين الحضور والمحاضرين .

وشارك في الملتقى حوالي ثلاثمائة رجل وامرأة ، وفدوا من أرجاء مختلفة من بريطانيا وإيرلندا .

(2) الدورة الخامسة للعلوم الشرعية :

استمراراً لخطة المنتدى الثقافية ، فقد أقام في مقره بلندن الدورة الخامسة للعلوم الشرعية مساهمة في تأصيل ونشر منهج أهل السنة والجماعة بين الدعاة وطلبة العلم وأئمة المساجد في الدول الأوربية ، وذلك في الفترة 18-30 صفر 1413 هـ / 16-28 أغسطس 1992 .

ولقد اشتملت الدورة على أكثر من سبعين درساً في المجالات الشرعية والدعوية المختلفة، موزعة على مجموعتين ، من أبرزها :

* أصول في التفسير ومناهج المفسرين .
* منهج ودراسة التاريخ الإسلامي .
* الضرورة الشرعية وضوابطها .
* طرق تخريج الأحاديث .
* حاضر العالم الإسلامي .
* أصول في الدعوة .
* الوجود الإسلامي في أوربا .
* أصول في دعوة غير المسلمين .
* أحكام المعاملات مع الكفار .
* لمحة عن تاريخ العرب الحديث .
* رأي أهل السنة في الدولتين الأموية والعباسية .

بالإضافة إلى دروس في مصطلح الحديث ، وشرح العقيدة الطحاوية، وشرح الآجرومية .

وقـد شــارك فـي هذه الدورة دعاة متخصصون منهم من خارج المنتدى الشيخ أحمد أبو لبن والشيخ سعد الموسى والشيخ عثمان ضميرية والشيخ محمد عبد الله الدويش .
وقد بلغ عدد الـدارسـيـن فـي هذه الدورة سبعين دارساً ، من أنحاء بريطانيا وبعض الدول الأوربية كهولندا والدنمرك والنرويج .
والمنتدى الإسلامي يشكر جمـيـع الإخوة المشاركين في هذه النشاطات ، ويرجو الله أن ينفع بها ، وأن يعينه على الاستمرار في أداء هذه الرسالة .

الورقة الأخيرة

قد بدت البغضاء من أفواههم

حسن عبد الغني

بعد أزمة الخليج بأشهر، زار الـمـنـطـقـة الـمستشـرق الأمريكي /فرانك فوجل/ رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة هارفارد ودعي لمحاضرة فـي المركز الثقافي لمدينة الشارقة ، وكان عنوانها "السياسة الشرعية في الإسلام" وكان جل الحضور من الشباب المسلم لرغبتهم في السماع لعالم يتكلم عن الإسلام ولا يدين به .
بـدأ الـرجـل حديثه بلغة عربية متمكنة ، وبلهجة واثقة متأنية ، وقدم له أحد الوعاظ في مدينة الشارقــة . تكلم عن سيرته الذاتية وعن دراسته للإسلام ، وعن إقامته في السعودية مدة خمس سنوات يجمع فيها معلوماته النظرية والتطبيقات العملية في المحاكم الشرعية . وعن إقامته فى مـصـر لمـدة سنتين ولنفس الغرض . حتى كوّن لديه ذخيرة لا بأس بها عن هذا الدين .
تـحـدث بـشـكـل مـسـتـفـيـض عن أن الإسلام دين ودولة، واستشهد لأقواله بكلام السلف وبـكـتـاب ابن تـيـمـيـة »السياسة الشرعية« وأكد على تفرد هذا الدين بهذا العلم. ثم انتقل للحديث عن النظام الغربي وكيف توصلوا إلى قانون يحكمهم وسمّاه/قانون الشعب/ يحصل في ظله كل فرد على حقوقه دون تمييز ، وبأن هذا القانون مطبق بشكل واسـع في كثير من الدول المتقدمة. وبأنهم يحـاولـون جاهـديـن لتطـبـيـقـه فـي الـعالم الـثـالـث الذي تحكمه الدكتاتوريات ، وبأن الغرب مشفق على شعوبهم .
وعقد مقارنة بين النظام الغربي والنظام الإسلامي وقرر فيه ما مجمله بأن الزمن قد تجاوز الشـريعة الإسلامية التي لم تطبق إلا في فترة محدودة ، ليحل محلها (قانون العالم الحر) وبأن العالم في النهاية سيدين له .
وطـبـعـاً أدخـل فـي ثـنـايـا حديثه قضية المرأة التي أعطيت كامل حقوقها في ظل قانونهم واستأذنت في المداخلة. ومـمـا قلته له بأن الإسلام عندما طُبِّق في عالم الواقع استطاع ذمي قبطي أن يقطع مئات الأمـيـال مـن مـصـر إلى

المدينة المنورة حيث الفاروق ابن الخطاب - رضي الله عنه - ليشكو إليه ابن أمير مصر عمرو بن العاص الذي ضربه بالسوط . وما كان من عمر إلا أن أحضر عمرو بن العاص حاكم مصر وابنه ليقول له كلمته العظيمة : »متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً« قم يا هذا واضرب ابن الأكرمين .
ولا أظن بأن هذه الحادثة أو أدنى منها قد حصلت أو تحصل في بلادكم وتحت سيادة قانونكم ، وأنت تقول بأن الغرب يحاول أن يعطي العالم الثالث جرعات من الديمقراطية ليصل في النهاية إلى ما أنتم عليه ، وهذا غير صحيح وفيه مغالطة كبيرة ، لأنه لو قام أفراد أو جماعة في عالمنا الإسلامي يطالبون بحقهم في التعبير، وبحقهم في المشاركة ، وبحقهم في الحرية والإنسانية ، لسحلوا بالمدرعات وبتشجيع من حكوماتكم ومن ساستكم . دعونا نطبق ديمقراطيتكم ولو مرة واحدة لتروا بأن الشعوب ستختار الإسلام وعندها يطبق في واقع الحياة وترونه بأم أعينكم ، وعندها سيدخل من شاء منكم في دين الله ، ويدعو له بين أظهركم .
ولا ندري لماذا تحقدون على الإسلام وتخافون منه ، وربما أخطأت بالتعميم ولكن هذا ما نراه من خلال سياستكم المعلنة والمبطنة . ويبدو أنه مصداق قول ربنا : ((ولَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)) ، وقاطعني بكلامه بأنه سوف ينقل هذه الرسالة إلى المسؤولين في بلاده ، وقال: إنما جئت للمحاورة . وطبعاً كان هذا اللقاء قبل انتخابات الجزائر وما تمخضت عنه من فضح لهم وتعرية لأدوارهم في عالمنا الإسلامي. وفي نهاية المحاضرة توجه نحوي باحترام وأدب مصطنع وقال : أوافقك على كل ما قلت ، وأقولها بصراحة ، نحن نعيش وأنتم زمن الحقبة الأمريكية .

تمت بعون الله والحمد لله
